مجلة

البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخل العدد

• الآثار المترتبة عن التوعية الصحية لوسائل الإعلام على مرضى الفيروسات الكبدية في مصر
« دراسة حالة على مرضى الالتهاب الكبدي الفيروسي« C »

• العلاقة المنهجية بين البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية.

• العنف التليفزيوني وتأثير الشخص الثالث.
« دراسة مقارنة لتأثيرات العنف الإخباري والدرامي »

• صورة مجلس الشعب وأعضائه لدى الإعلاميين البرلمانيين.
« دراسة مسحية »

• اتجاهات الطلاب نحو البرامج التدريبية في أقسام الإعلام في المملكة العربية وآفاقها المستقبلية.
« دراسة ميدانية على عينة من طلاب قسمي الإعلام في جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية والملك سعود »

• المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين دوافع مشاهدة الجمهور للسينما التسجيلية والإشباعات المتحققة منها.

العدد
السابع عشر
يناير ٢٠٠٢م

فهرس موضوعات المجلة

الموضوع	الصفحة
* الآثار المترتبة عن التوعية الصحية لوسائل الإعلام على مرضى الفيروسات الكبدية في مصر «دراسة حالة على مرضى الالتهاب الكبدي الفيروسي«C» د/ شعبان شمس	من ٥:١٢ من ١٣:٥٨
* العلاقة المنهجية بين البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية. د/ جابر عبد الموجود	من ٥٩:١١٤
* العنف التليفزيوني وتأثير الشخص الثالث. «دراسة مقارنة لتأثيرات العنف الإخباري والدرامي» د/ هبة الله بهجت السمري	من ١١٥:١٨٢
* صورة مجلس الشعب وأعضائه لدى الإعلاميين البرلمانيين. «دراسة مسحية» د/ حسن علي	من ١٨٣:٢٤٦
* اتجاهات الطلاب نحو البرامج التدريبية في أقسام الإعلام في المملكة العربية وآفاقها المستقبلية. «دراسة ميدانية على عينة من طلاب قسمي الإعلام في جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية والملك سعود» د/ مساعد بن عبد الله المحيا	من ٢٤٧:٣١٦
* المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين دوافع مشاهدة الجمهور للسينما التسجيلية والإشباعات المتحققة منها. د/ دينا يحيى	من ٣١٧:٣٧٦
* فهرس المجلة	٣٧٧

هيئة المحكمين
في هذا العدد

أ.د. جيهان رشتي

أ.د. علي عجوة

أ.د. محيي الدين عبد الحليم

أ.د. عدلي رضا

أ.د. حمدي حسن محمود

أ.د. ماجي الحلواني

أ.د. حسن عماد مكاوي

أ.د. سامي الشريف

أ.د. محمود يوسف

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن رأي صاحبها ولا تعبر عن رأي المجلة

العدد السابع عشر
يناير ٢٠٠٢م

العلاقة المنهجية بين البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية

دراسة نظرية وتطبيقية

إعداد الدكتور

جابر محمد عبد الموجود

مقدمة

يتنوع مفهوم العلم تبعًا لتنوع الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه أو لتنوع المجال الذى يتميز به ذلك الجهد الإنسانى فى دراسته واكتشافه، فعندما يُستخدم العلم في فهم ما يجرى فى هذا الكون فإنه يُصنف تحت باب العلوم الطبيعية، وحين يستخدم فى فهم ذواتنا كبشر فإنه يُعرف باسم علم النفس، أما حين يُوظف العلم فى فهم العلاقات التى تربط بيننا فى التجمعات الإنسانية فإنه ينتمى إلى مجموعة العلوم الاجتماعية فى إطار علاقات السبب والنتيجة، وحين يكون الهدف من العلم تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة فإنه يُعرف بعلم الإعلام.

ورغم هذا التقسيم الظاهرى للعلوم الإنسانية، فإنها جميعًا مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا من حيث الاهتمام المشترك بتأثير الحضارة الإنسانية والبيئة الطبيعية فى سلوك الإنسان وتفاعله.

والحقيقة أن ثمة علاقة وثيقة تربط بين الإعلام كعلم وبين علم السياسة واللغة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس تبدو ملامح هذه العلاقة من خلال عدة اعتبارات من أهمها[1]:

١ـ هوية رُواد الاتصال الأوائل وأدبياتهم التى تناولت الاتصال وآثاره فى اللغة والفرد والمجتمع فـ «شرام ولازرسفيلد وهوفلاند ولازويل وفسنجر وهملويت» وغيرهم كانوا فى الأصل علماء اجتماع ونفس ولغة وسياسة واهتم كل واحد منهم بدراسة الإعلام فى ميدانه.

٢ـ الروابط الوثيقة بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات الاجتماعية الأخرى حيث تتداخل الوظائف وتتشابك المهام فيما بينها، فالمضمون الذى تُقدمه الوسيلة يتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة، وتتحدد حرية الإعلام من خلال التشريعات والقوانين كما توجد علاقات غير رسمية بين الإعلام والمجتمع ويأتى ذلك من خلال التفاعل المستمر بينهما.

٣ـ علاقة الإعلام بأمن المجتمع ووحدته واستخدام الدولة وسائل الإعلام لمعالجة قضايا مثل العنف والإرهاب والجريمة المنظمة، وقيام الدولة فى

بعض المجتمعات بتحديد وظيفة الصحافة فى تغطية بعض الأحداث وامتلاكها للإذاعة والتلفزيون وممارسة دور رقابى عليها.

٤ـ عدم وجود إطار نظرى ومحكم لعلم الاتصال أو منهجية مستقلة تساعده على تحليل قضاياه أو هيكل من الفروض المترابطة يُحتم وجود علاقة متبادلة بين الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية لعملية الاتصال.

وعلى الرغم من تداخل موضوعات الإعلام مع العلوم الاجتماعية والنفسية والطبيعية واستعانته بمناهجها ونظرياتها، إلا أنه من الصعب اعتبار الإعلام فرعًا من فروع تلك العلوم وكذلك الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية والاجتماعية والنفسية على الرغم مما بينها جميعًا من ترابط المواضيع ووحدة المنهج وذلك لما يلى(٢).

١ـ أن المعارف العلمية فى معظم مجالاتها تتطور بتطور الزمن إلى التفرع والتخصص الدقيق لما يوفره لها من عمق ودقة ولما يعنيه من ثراء علمى ودقة لما يعنيه من ثراء علمى وفهم أبعد لظواهرها ومتغيراتها وعلاقاتها. وقد شهد ميدان الاتصال الجماهيرى فى الربع الأخير من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين تطوراً سواء كان على مستوى النظرية أو المنهج أو مجال التخصص كعلم يُدرس فى الجامعات، وأصبحت هناك كليات للإعلام وأقسام متخصصة تقوم على تدريسه، وتعتنى بإجراء البحوث، ورصد الظواهر الإعلامية فى المجتمع.

٢ـ أن الأوضاع التى أحدثتها ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على المجتمع والدراسات العلمية التى تناولته تفرض قدراً كبيراً من التخصص الدقيق الذى لا يمكن توفيره فى ظل الانتماءات العلمية وتشابك العلوم بعضها بعضا، وبالتالى يُصبح الاتجاه نحو التخصص الدقيق من خلال علوم متعددة ـ كالإعلام مثلاً ـ ومناهج بحثية مستقلة أمراً تفرضه طبيعة التطورات التى تحدث فى هذا العصر.

٣ـ أن مناهج البحث التى تقوم عليها المعارف العلمية تحتاج إلى قدر كبير من التطويع لكى تلائم طبيعة العلم الذى يستعين بها، وبما أن هذه المناهج جمعت اساسا لتواجه متطلبات العلوم الأساسية - كالاجتماع - تصبح الحاجة إلى تطوير مناهج البحث لتلائم العلوم الفرعية - كالإعلام - ضرورة يلح عليها التطور.

٤- ظهور تيار ينادى بضرورة استقلال علم الاتصال عن العلوم الاجتماعية الأخرى لجمع المعرفة العلمية المبعثرة الخاصة بظاهرة الاتصال حيث تتوزع على مجالات علمية متعددة كالانثروبولوجيا والإدارة والهندسة وعلم النفس والاجتماع والفلسفة، بل وإمكانية استقلال بعض العلوم الأخرى عن علم الاتصال كعلم الصحافة تعتمد على معايير موضوعية قابلة للضبط الكمى.

وقد كان لهذه الاعتبارات أثر كبير على الباحثين فى المجالات الاتصالية فى القيام بمحاولات علمية بقصد إثبات إمكانية قيام علوم متميزة تستأثر بهذه المجالات الإعلامية وتؤصلها وتستقل بها عن العلوم الاجتماعية والنفسية والطبيعية التى أفرزتها وغزتها لسنوات عديدة.

ومن ثم فقد تفتحت أبواب جديدة للباحثين وصارت بحوثهم أوثق صلة بالإعلام من حيث هو ظاهرة اجتماعية نفسية بارزة وبنظريات هذه الظاهرة وما يتفاعل معها ويؤثر فيها ويتأثر بها من عوامل وما تتشعب إليه من مسارب وما يحكم انعكاساتها من مقومات.

وعرف الباحثون الإعلاميون مناهج البحث الإعلامى وأسسه ومختلف دروبه وخاضوا عدة تجارب بحثية كانوا من قبل يترددون كثيرا فى الاقتراب منها وأصبح لهم إنجازاتهم فى مختلف جوانب البحوث الإعلامية[٣].

الدراسات السابقة:

لقد أظهرت الدراسة المسحية التى قام بها الباحث عن وجود عدد لا بأس به من الدرسات التى تناولت الجوانب الإجرائية والمنهجية فى بحوث

الإعلام وبعض هذه الدراسات وإن كانت محدودة تناولت بحوث الاجتماع والنفس.

أما عن صلة الإعلام بالعلوم الأخرى وبالذات فيما يتعلق بالعلاقة المنهجية بين الإعلام والاجتماع وعلم النفس فان الباحث لم يعثر على دراسات من هذه القبيل ومن ثم أصبحت دراسة العلاقة المنهجية ضرورة ومطلبا علميا نادى به كثير من الباحثين وأوصت به كثير من المؤتمرات العلمية.

ومن أهم هذه الدراسات ما يلى:

١- دراسة بعنوان «منهجية الفرض فى بحوث الإعلام»(٤).

وقد سعت هذه الدراسة إلى توضيح أهمية الفرض واستخداماته فى مجال البحوث والدراسات الإعلامية وتأثير ذلك الاستخدام فى بلورة الإعلام كعلم له حقائقه ونظرياته الإعلامية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الفرض هو الأساس الذى يمكن الباحث من تحقيق أهدافه وأن الدراسات الإعلامية التى استندت إلى منهجية الفرض أفرزت قاعدة واسعة من النظريات الإعلامية التى ازدادت رسوخا بعد أن أثبتت قيمتها العلمية فى تفسير الكثير من الظواهر الإعلامية. كما ساعدت هذه الفروض على تطوير النظريات الإعلامية واتساع مجالات تطبيقها.

وقد أفادت هذه الدراسة الباحث فى معالجة الجوانب الإجرائية والمنهجية باعتبار أن الفرض أحد هذه الجوانب التى يعتمد عليها الباحثون فى دراساتهم .

٢- دراسة بعنوان «إسهام نظريات عمل الاجتماع المعاصر فى دراسة الاتصال الجماهيرى»(٥).

وقد سعت الدراسة إلى التعرف على مدى إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصر فى دراسة الاتصال الجماهيرى ومدى قدرات هذه النظريات على التعامل مع مجالات الاتصال الجماهيرى فى ظل التكنولوجيا الحديثة والتجاوب السريع من قبل الجمهور معها.

وقد أوضحت هذه الدراسة إلى أنه على الرغم من الإسهامات الواضحة لنظريات علم الاجتماع المعاصر فى دراسة الاتصال الجماهيرى إلا أنها تعانى من مشكلات منهجية تتمثل فى صعوبة قياس عمليات التأثير من خلال الدراسات الأمبريقية، كما أوضحت الدراسة إلى أن ميدان الاتصال الجماهيرى فى حاجة إلى تخصصات عديدة كى تبرز فاعليته وتكتمل وظيفته وتستفيد من التنوع وبالتالى يكون قادرا على مواكبة المستجدات.

وقد أفادت هذه الدراسة الباحث فى فهم طبيعة العلاقة وبالذات التى تربط ما بين علم الإعلام وعلم الاجتماع.

٣- دراسة بعنوان «المنهجية فى الرسائل الجامعية» دراسة حالة.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على قدرة الطلاب على تفهم المشكلة البحثية فى أبعادها الثلاثة كما يتصورها الباحثان اللذان أجريا هذه الدراسة وهى:

أ- إسهام التراث النظرى بمستوياته العديدة فى منهجية إجراء البحوث العلمية.

ب- أهمية الإشراف الأكاديمى فى إجراء الرسائل العلمية.

ت- قدرات الطالب البحثية والذهنية فى تحديد مشكلة بحثه وصياغاتها وذلك لتحقيق الإضافة العلمية المنشودة.

وقد أجريت الدراسة على عينة من الرسائل المجازة فى قسم الدراسات الاجتماعية فى كلية الأداب جامعة الملك سعود بلغت قوامها عشرون دراسة.

وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة مؤداها عدم قدرة بعض طلاب الدراسات العليا على التفريق بين تحديد مشكلة البحث وصياغتها، وقد يكون السبب وراء ذلك استعجال بعض الباحثين فى تحديد مشكلة البحث دون أن يواكب ذلك الالتزام بالإجراءات العلمية التى تساعده فى الكشف عن مؤشرات الدراسة.

كما أشار الباحثان إلى أن عقبة تحديد مشكلة البحث وصياغتها سوف تستمر فى ملازمة طلاب الدراسات العليا إذا لم يكن هناك تدخل من جانب المشرفين أو ذوى الاهتمام بمجال الدراسات العليا بقصد توجيه الطلاب نحو

أفضل السبل المتاحة لتحقيق مستوى متقدم فى إجراء البحوث العلمية منهجيا ونظريا.

وقد أفادت الدراسة الباحث فى التعرف على أهم المشكلات التى تواجه الإعلام وبالذات فيما يتعلق بالمنهج.

٤- دراسة بعنوان «تطور نظرية الاتصال واستراتيجيات البحث فى الدراسات الإعلامية»(٧) وقد استهدفت الدراسة رصد العلاقة بين تطور مفهوم الاتصال وبين استراتيجيات البحث فى الدراسات الإعلامية الأمريكية.

وقد اعتمدت الدراسة على مسح أدبيات الاتصال من حيث اهتمامها بمفهوم الاتصال والعوامل المؤثرة فى تطور المفهوم وكذلك رصد الاتجاهات الأساسية فى بحوث الإعلام والعلاقة القائمة بين المفهوم فى إطاره النظرى وبين انعكاساته فى تصميم وتطوير الاستراتيجيات البحثية المستخدمة فى دراسة الإعلام.

وقد توصلت الدراسة إلى أن دراسات الإعلام تعانى نقصا فى الأطر النظرية الناجمة عن غياب النظرية الاجتماعية التى يمكن أن تشكل مرجعية فى فهم المجتمع الذى يعيش فيه وطبيعة العلاقة القائمة والقوى المؤثرة فيه.

ودعت الدراسة إلى ضرورة تطوير مناهج واستراتيجيات بحثية قادرة على الإجابة عن التساؤلات البحثية والمناهج اللازمة للإجابة عنها. وأشارت ضمن ما أشارت إليه إلى أنه لكى نصل إلى مناهج بحثية مستقلة لابد أن تكون التساؤلات البحثية معبرة عن واقع المجتمعات التى تجرى فيها الدراسة.

وقد توصلت هذه الأبحاث والدراسات إلى عدة نتائج لعل أهم ما يعنينا منها هو ما يتعلق بالمنهج والتى تمخضت المناقشات فيه إلى عدة اتجاهات هى:

الاتجاه الأول: الذى يرى ضرورة التفرقة بين العلم الاجتماعى وبين المجتمع نفسه، ويتخوف أصحاب هذا الاتجاه من القول بمنهج عربى ومنهج غربى ويدعون إلى الأخذ والانتقاء من العلم الغربى دون خوف أو تردد.

الاتجاه الثانى: يرى أن العلم الاجتماعى هو نتاج للمجتمع ولا يمكن الفصل بينهما وأنه على الرغم من أن علم الاجتماع مدين للأوائل مثل «ماركس وكنت» إلا أنه لا يمكن الوصول إلى الصواب إذا اعتبرنا أنفسنا منحدرين من صلب دون بقية الأصلاب، ويرون أنه توجد بالفعل حالة من التبعية المنهجية وأكدوا على قضية التبعية للغرب فى المسلمات دون سواها.

الاتجاه الثالث: يؤكد على ضرورة الاعتماد على أرضية المجتمع ووعائه الثقافى بمكوناته المتميزة بما فيها الجوانب الروحية والمعنوية وأن تحسم الإشكالات وفق قيم المجتمع.

مشكلة الدراسة وأهدافها:

نبعث مشكلة الدراسة لدى الباحث من خلال إطلاعه على كثير من الدراسات العلمية ومشاركته فى كثير من الحلقات النقاشية والمؤتمرات العلمية التى تعرضت للمنهج واستخداماته فى العلوم المختلفة وتمثلت مشكلة الدراسة فى الغموض الذى يكتنف المنهجية فى البحوث العلمية والاجتماعية والنفسية والاضطراب من قبل كثير من الباحثين فى استخدام المصطلحات المنهجية والخلط بين المنهج والأداة ومن ثم كانت هذه الدراسة التى سعت للتعرف على مدى وجود علاقة منهجية بين الدراسات الإعلامية والاجتماعية والنفسية ونظرا لما تمثله المنهجية من أهمية فى إجراء البحوث العلمية ومن أن فقدانها سوف ينعكس سلبا على المستوى العلمى الذى تظهر فيه تلك الرسائل كان من الضرورى أن تخضع دوما للفحص والتطوير المستمرين فى محاولة لتحسين مردوديتها وجعلها مواكبة للتطورات التى تحدث فى المجالات المعرفية الموظفة لخدمة الإنسانية وخصوصا أن المقاييس المنهجية ليست مبرأة من كل عيب أو نقد ولا يمكن إعادة فحصها وتحسينها وتعويضها بأفضل منها.

تساؤلات الدراسة:

وقد سعت الدراسة للإجابة على عدة تساؤلات من أهمها:

١- ما مدى وجود علاقة منهجية بين الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية؟ وما طبيعة هذه العلاقة؟

٢- ما الإجراءات المنهجية التى اعتمدت عليها البحوث موضوع الدرسة؟ وما مدى التكامل أو التضاد بين البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية فى الاستعانة بالإجراءات المنهجية؟

٣- ما مدى اهتمام كل من الدراسات الاجتماعية والنفسية بالإعلام وما مدى اهتمام الإعلام بالظواهر الاجتماعية والنفسية وذلك من خلال النتائج والتوصيات التى خلصت إليها البحوث الأكاديمية فى المجالات المذكورة.

منهجية الدراسة ونوعها وأداتها:

قامت الدراسة على أساس الدمج بين المنهج وأدبيات الإعلام والاجتماع وعلم النفس لأن أى حديث عن المنهج بمعزل عن الحديث فى العلم بحث لا طائل من ورائه، ومن ثم فان الدراسة حاولت أن توضح المراحل التى مرت بها الدراسات الإعلامية والمناهج التى استقتها من العلوم الأخرى فضلا عن المناهج القائمة ومدى استقلاليتها عن غيرها من العلوم الاجتماعية والنفسية، وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التى اعتمد فيها الباحث على مسح التراث العلمى السابق فى الموضوع والتى ربطت بين الإعلام والاجتماع والإعلام وعلم النفس من قبل باحثين اجتماعيين ونفسيين وإعلاميين للتعرف على مناهج وسمات وخصائص هذه الدراسات ومجالاتها المختلفة.

وقد استعانت الدراسة بعدة مناهج بحثية هى:-

١- منهج المسح بالعينة كجهد علمى منظم لأكتشاف وتوظيف الإنتاج العلمى الذى قدمه الباحثون فى مجالات الاجتماع والإعلام وعلم النفس.

٢- المنهج المقارن وهو الذى يستخدم للموازنة بين حالتين مختلفتين توجد بينهما أسس منطقية للمقارنة، وقد استخدم هذا المنهج فى المقارنة بين الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية التى تشابهت فى المضمون الذى

تناولته لاكتشاف أوجه التشابه والاختلاف فى الأطروحات موضوع الدراسة من حيث الأساليب المنهجية ومدى التفاعل أو التأثير والتأثر.

٣- المنهج التاريخى وذلك من خلال رصد تطور ملامح وسمات العلاقة المنهجية والتنظيرية بين الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية.

وقد اعتمدت الدراسة على أداة مبسطة لجمع بياناتها تمثلت فى صحيفة تحليل المضمون وقد تضمنت عدة فئات اسم الباحث - عنوان البحث - القسم الذى ينتمى إليه - الكلية والجامعة التى ينتمى إليها الباحث، وكذلك ايضا: مجال البحث ومنهجه والأدوات البحثية المستخدمة والأطر النظرية وبعض النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

عينة الدراسة:

وقد قام الباحث بحصر شامل لكل ما هو متوفر من أطروحات ربطت بين الإعلام والاجتماع أو الإعلام وعلم النفس فى المكتبات المركزية لجامعات القاهرة وعين شمس والأزهر، ولما بلغ عدد الأطروحات ٢٠٠، مائتى أطروحة فقد اقتصر الباحث على ٥٠، خمسين دراسة بنسبة ٢٥٪، ربطت ربطا مباشرا فى عنوانها بين الإعلام والاجتماع أو الإعلام وعلم النفس وذلك كالاتى:

٢٣ دراسة إعلامية ربطت بين الإعلام والاجتماع.

١٧ دراسة اجتماعية ربطت بين الاجتماع والإعلام.

١٠ دراسات تخصص علم نفس ربطت بين علم النفس والإعلام.

وتم تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:

تناولت المقدمة الجوانب الإجرائية والمنهجية للدراسة وتناول المبحث الأول طبيعة العلاقة المنهجية بين الدراسات الإعلامية والاجتماعية والنفسية فى حين تضمن المبحث الثانى نتائج الدراسة التطبيقية التى تناولت البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية التى تلاقت أو افترقت منها هذه الدراسات.

أما الخاتمة فقد تناولت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

العلاقة المنهجية بين الدراسات الاعلاميه الاجتماعية والنفسية

تعد قضية المنهج من القضايا الشائكة التى كانت ولا زالت تحظى باهتمام كبير من الباحثين على اختلاف مجالاتها لا باعتبارها مفتاح التحكم فى كل بحث ونجاح كل دراسة والأداة المساعدة على استنطاق القضايا وتوليد الأفكار، وإنما لكونها أساسا وإضافة لكل ما سبق قواعد مؤكدة وضابطة إذا رعاها الباحث مراعاة دقيقة كان فى مأمن أن يحسب صوابا ما هو خطأ(١١).

والمنهج فى اللغة يعرف بأنه «الطريق الواضح» وفى القرآن الكريم «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهجا(١٢) وفى حديث العباس «لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركهم على طريق ناهجه(١٣) أى واضحة بينه، ونهجت الطريق سلكته وفلان يستنهج سبيل فلان أى يسلكه وسلكه والنهج الطريق المستقيم(١٤).

أما فى الاصطلاح فقد عرف العلماء والباحثون المنهج بعدة تعريفات منها:-

«أن المنهج خطة معقولة لمعالجة المشكلة وحلها عن طريق استخدام المبادئ العلمية المبنية على الموضوعية والإدراك السليم لا البداهة أو التخمين أو التجربة العابرة أو مجرد التطبيق».

«أو هو العلم الذى يبحث فى الطرق المستخدمة فى العلوم للوصول إلى الحقيقة (١٥)حيث نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها حين نكون بها عالمين»

«وهو طريقة للكشف عن الحقائق الموضوعية»، وهو طريقة «تتضمن استقراء الواقع للتحقق صحة الفروض التى يصوغها الباحث فى محاولة تفسير ظاهرة أو الوصول إلى حل عملى لقضية أو عائق يعترض سياق حياته أو نشاطه»(١٦)

وينظر كثير من الباحثين إلى المنهج ليس باعتباره مجرد أسلوب أو وسيلة تضبطها خطة وقواعد تيسر السير فى طريقة البحث عن الحقيقة وتساعد على الوصول إلى نتائج معينة، ولكن ينظر إليها كمنظومة متكاملة تبدأ بالوعى

والرؤيا المشكلين لروح المنهج وكنهه اللامرئى وتنتهى بالعناصر اللازمة لتحقيق ذلك الوعى وتلك الرؤيا من خلال الكشف والفحص والدرس والتحليل والبرهنة للإثبات أو النفى(١٧).

وكما يفهم من المعانى اللغوية والاصطلاحية للمنهج «إن المنهج ليس مجرد مجموعة من الوصفات المجربة والجاهزة التى يتوجب الالتزام بها فى كل عصر وعند كل موضوع، بل هو مجموعة منظمة من القواعد المتطورة والنامية التى يستعين بها الباحث فى حل مشكلات بحثه بهدف الكشف عن جوهر الحقيقة»

وعلى الرغم مما للمنهج من أهمية أساسية فى البحوث الاجتماعية والنفسية والإعلامية، حيث تتوقف نتائج البحوث العلمية ومدى ما يتوفر فيها من الدقة والموضوعية على المنهج الذى يستخدمه الباحث فى الكشف عن الحقيقة فى وصف الظاهرة التى يقوم على دراساتها وفى عرض المعطيات أو المعلومات التى يتوصل إليها، الا أن طبيعة المناهج لا تزال غير محددة وتتعدد حولها الإجابات وتتخاصم على غير ما نعهده فى العلوم الطبيعية(١٨).

فهل يتعدد المنهج أم يتوحد فى العلوم المختلفة؟، وبعبارة أخرى هل تتوحد تلك القواعد التى يلتزم بها كل عالم فى ضروب علمه أيا كان موضوعه؟ أم يتعدد بحسب موضوع علمه؟ وهل يمكن لدراستنا الاجتماعية والنفسية والإعلامية - مثلا - أن تعتمد على مناهج مستقلة أم ما زلنا تابعين للغرب من حيث الاعتماد على هذه المناهج؟ وهو ما يبرز لنا إشكاليتين هامتين:-

الإشكالية الأولى:- تتعلق بعلاقة المنهج المتوخاة فى كل اختصاص وبتعدد الاختصاصات ذاتها وتباين العلوم من حيث نوع العلم والتخصص والهدف ومن حيث التعامل مع الواقع مما قد يثير الشك والحيرة فى نفس الباحث.

الإشكالية الثانية:- تتعلق بتعدد المناهج وتنوعها الذى يتم اختيارها منه ومدى مواءمتها للسياق الاجتماعى الذى تتم فيه.

أما عن الإشكالية الأولى المتعلقة بعلاقة المنهج بالتخصص والموضوع فيشير كثير من الباحثين [١٩] إلى أن علاقة المنهج بالموضوع والتخصص ليست من هذا إلى ذاك بل هى من المناهج إلى الموضوع والتخصص، فالباحث قد ينطلق من إشكالية «ما» أو من ميدان «ما»، إلا أن هذه الإشكالية وهذا الموضوع لا يصبحان ميدانا للبحث إلا بعد أن تتضح دقائق المناهج ذاتها وتضبط طرق البحث المستخدمة وانفصال الإعلام عن العلوم النفسية والاجتماعية يعود فى نهاية الأمر إلى أن المنهاجيات المتوخاة صارت أكثر دقة يوما بعد يوما واكثر موضوعية، وهكذا وجدت مناهج فى البحث الأدبى والتاريخى وعلم النفس والتربية والاجتماع والإعلام واللغة وغيرها. فتعدد المناهج هو الذى ادى إلى تعدد الاختصاصات - لا العكس -، فعلم العمران البشرى وعلم النفس الاجتماعى والانثروبولوجيا، وعلم الأعراف والإعلام انفصلت عن علم الاجتماع لما أصبح واضحا أن موضوعها يفرض تخصيصا فى المنهاج المتبع وأسلوبا ينفرد به فظلت قطاعات البحث «تتمفصل» وتكون وحدات لها ذاتيتها وخصوصيتها والمنهاجية المتوخاة ساهمت فى إثبات تلك الوحدة وإبراز الاختصاص.

فالدراسات الانثروبولوجية التى تهتم بدراسة الإنسان وأجداده وأصوله ككائن اجتماعى يحيا فى مجتمع ويعيش فى ثقافة تكونت حول الوصف التحليلى الدقيق وما يفرضه على الباحث من وجوب الإقامة فى دار الغربة لمدة شهور أو سنين ومن توخى طرق تجعل الباحث يضمن لعمله مستوى أدنى من الدقة والموضوعية والعمق والطرافة فى جميع اطواره من الملاحظة المباشرة لعادات الأفراد وتقاليدهم ومعتقداتهم وأوجه نشاطهم إلى المراقبة والإستعانة بالإخباريين المحليين ليزودونه بالمعلومات أو التفسيرات التى قد يعجز عن إدراكها إلى جمع المعطيات وتحليلها واستنباط قواسمها المشتركة ثم إلى إدراج كل ذلك فى تصور شامل يعكس بصفة صادقة وأمينة نوعية المجتمع المدروس وخصوصيات بيئته وأصالتها جعلت منها علما جديدا بعد أن كانت تدرس ضمن الأشكال الاجتماعية.

ونلاحظ فى فرنسا وألمانيا ـ مثلا ـ أن أطباء ومهندسين ذهبوا إلى العلوم الاجتماعية وطوروها ـ لا العكس ـ ونفس الشىء بالنسبة للدراسات الإعلامية،

فالذين كان لهم فضل الريادة واستكشاف هذا الحقل من المعرفة الذى كان ولا يزال مجهولا فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية يرجع إلى جيل الرواد الذين ينتمون إلى تخصصات مختلفة فى ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية.

فإذا كان هناك فضل فى تطوير وتصنيف الاختصاصات وتنوع العلوم وإكسابها استقلاليتها النسبية حتى ومع إيماننا بأن وجود فكرة منهج كلى راسخ يُعد مقياسًا ثابتًا للوفاء بالمراد فى أى دراسة فكرة غير واقعية مثلها فى ذلك مثل الفكرة التى تقول بأداة قياس كلية وراسخة يمكنها أن تقيس أى كتلة دونما اعتبار للظروف المحيطة بها.

فكل هذا لا يعنى أن لكل علم من العلوم الاجتماعية أو الإنسانية وما تمخض عنه من علوم ومعارف ومنهج مستقل وأن كل منهج لا يتصل بإلا بعلم، ذلك أن ترابط المواضيع ووحدة المشاغل جعلت العلوم يتداخل بعضها ببعض وبالتالى فإن المناهج أصبحت تتأثر فى طلب العلم الواحد بما يجرى فى العلوم الأخرى ولذا أصبح من المسلم به أن استخدام مناهج مختلفة فى وقت واحد ضرورة لا مناص منها لاستيعاب المعرفة ولطرح عديد من الإشكاليات وللتقدم نحو حلول مفيدة.

أما عن الإشكالية المتعلقة بتنوع المناهج ومواءمتها للسياق الاجتماعى الذى تتم فيه، فيمكن القول أن الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية على الرغم من تجزئتها إلا أنه يلاحظ تكامل المعرفة وتلاقى هذه العلوم ووحدة المنهج فيما بينها، وهو ما أشار إليه أساتذة المناهج فى مؤلفاتهم واتضح من الدراسة التطبيقية التى أجراها الباحث فى الجزء التطبيقى من هذه الدراسة.

ومن المناهج التى اعتمدت عليها الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية ما يلى:

١- منهج المسح الذى يُعد موضع اهتمام كثير من العلماء فى شتى فروع العلم والمعرفة، حيث يهتم عالم الاجتماع فى الدراسات المسحية بوصف المجتمع الذى يدرسه وللكشف عن بعض الخصائص الاجتماعية وتفسير العلاقات التى ظهرت من خلال الدراسة المسحية الوصفية(٢٠).

أما عالم النفس فإنه يعتمد على المسح فى أوسع نطاق لجمع معلومات عن موضوعات عديدة منها دراسة الاتجاهات والأسباب الكامنة وراء السلوك الإنسانى الذى تدرسه، وهناك بحوث عديدة استخدم فيها المسح على المنحرفين والمرضى العقليين(٢١).

ويكتسب منهج المسح فى بحوث الإعلام أهمية خاصة وبالذات فى تلك المسوح التى تستهدف التعرف على اتجاهات المبحوثين وآرائهم فى الموضوعات والقضايا ذات الطابع الإعلامى والمسوح التى تستهدف مدى تأثيرات برامج إذاعية أو تلفزيونية معينة وغالبًا ما تقوم بهذه المسوح أجهزة متخصصة لقياس الرأى العام ويوجد منها الكثير فى مختلف دول العالم.

والمنهج التاريخى الذى يُعد ضرورة للبحث العلمى وأهمية أن يتسلح الباحث بالوعى بتاريخ المجتمع والنظم التى يدرسها وفى خلفية تاريخ التخصص الذى ينتمى إليه، فالباحث فى مجال الاجتماع وعلم النفس والإعلام يسعى من خلال هذا المنهج إلى تعقب التطور التاريخى لكى يُعيد بناء العمليات الاجتماعية والنفسية والظواهر الإعلامية ويربط الحاضر بالماضى وتفهم القوى الأولى التى شكلت الحاضر بقصد الوصول إلى وضع مبادىء وقوانين عامة تتعلق بالسلوك الإنسانى للأشخاص والجماعات الاجتماعية والنظم الإعلامية(٢٢).

والمنهج المقارن يمكن الاستفادة به فى كثير من فروع العلم ومجالات دراسته حيث إن أى بحث فى مجال الاجتماع والنفس والإعلام ينطوى بالضرورة على مقارنات بين بعض المتغيرات أو حتى مقارنة مجتمعات ونظم بعضها ببعض(٢٣).

أما المنهج التجريبى: فإنه على الرغم من أن التجربة نشأت وترعرعت فى حقول دراسات العلوم الطبيعية(٢٤)، وأن كثيراً من العلماء يعتقدون أن اعتماد الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية على منهج التجريب غير ممكن لأن لكل علم طبيعته وخصوصيته(٢٥)، إلا أن المنهج التجريبى أو التجربى يُعد مطلبًا مُلحًا ومهما فى مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية حيث

إنه لا يكتف بمجرد وصف موقف معين أو تحديد معالمه سواء فى الحاضر أو الماضى وإنما يعمد إلى معالجة عدة عوامل معينة تحت شروط خاصة ومضبوطة بشكل دقيق وذلك من أجل التحقق من كيفية حدوث واقعة أو حادثة معينة من خلال تحديده للأسباب التى أدت إلى حدوثها بالشكل الذى حدثت عليه.

وإذا كان المنهج التجريبى بالنسبة للدراسات النفسية كما يقول أحد الباحثين(٢٦)، إن أهم حدث فى علم النفس هو إدخال المنهج التجريبى والاعتماد عليه بشكل واضح فإن الآراء تختلف حول إمكانيات تطبيقه فى مجال الدراسات الاجتماعية والإعلامية بين مؤيد ومعارض.

فأصحاب الاتجاه المعارض للتجريب فى هذه العلوم يرون أنه إذا كانت العلوم الطبيعية تعتمد على التجربة وتكرارها للحصول على النتيجة نفسها أو نتائج أخرى لكن ذلك محدود فى العلوم الاجتماعية والإنسانية والإعلامية فلكل علم طبيعته وخصوصيته، ويرون أن تطبيق هذا المنهج محفوف بالشكوك لكثرة ما فى إجراءاته من تعسف وعثرات ليس من السهل تجنبها هنا فضلا عن قلة الفرص للتجريب(٢٧).

بينما ينظر أصحاب الاتجاه المؤيد لهذا المنهج إلى الظواهر الاجتماعية على أنها خاضعة لنفس القوانين التى تخضع لها المادة، فالقوانين التى تسود العالم الصناعى كالضغط والكثافة والمقاومة والتوازن والتجانس والتنافر.. الخ، هى نفسها التى تطبق على العالم الاجتماعى والمجتمع كالطبيعة سواء بسواء يخضع فى نقائه وتطوره لنفس القواعد التى يخضع لها العالم الطبيعى(٢٨).

ويرى بعض علماء الاجتماع ضرورة التفرقة بين المنهج التجريبى والتجربى ويرون أن المنهج التجربى هو المنهج الفريد الذى يستخدم فى بحث الوقائع والأحداث الماضية باعتبارها تجارب عرضية يمكن الاستدلال منها للتوصل إلى وضع قوانين وصياغة نظريات اجتماعية، وكذلك يمكن الاعتماد عليه فى بحث الوقائع والأحداث الآنية كتجارب مفاجئة عارضة من

طبيعة الحياة الاجتماعية، فالمنهج هنا هو التجربى ما دامت الحقائق أو المعطيات أو الوقائع أو الحوادث تجارب ماضية جرت فى بقاع مختلفة فى أوقات متزامنة أو متعاقبة، ويدعو إلى ضرورة توجيه نظر الباحثين إلى تبنيهم هذا المنهج فى مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية والإعلامية باعتباره الركيزة الوحيدة التى صاغ على أساسها العلماء الإثبات فى العلوم الاجتماعية والنظريات الكبرى ووضعوا القوانين الهامة(٢٩).

أما التجريب فإنه تلك العملية التى يقوم فيها الباحث بخلق الموقف بما يتضمنه من شروط وظروف محددة يحث يتحكم فى بعض المتغيرات ويقوم بتحريك متغيرات أخرى حتى يستطيع أن يعيش تأثير هذه المتغيرات المستقلة على المتغيرات الثابتة فهو محاولة لتحديد العلاقة السببية من متغيرات محددة، وإذا كان هذا الأمر شائعًا فى البحوث الطبيعية فإنه ليس كذلك فى العلوم الاجتماعية(٣٠).

وإذا كان المنهج التجريبى يعد ضرورة علمية فى بعض الحالات فليس بالمنهج التجريبى وحده نصل إلى النتائج وتثبت صحتها، فلقد انتهت العلوم السلوكية والاجتماعية والنفسية إلى مناهج أكثر ملاءمة فى حالات كثيرة لطبيعة الظواهر فى علوم الاتصال الجماهيرى، ويمكن تكييفها لتتناسب مع الطبيعة الخاصة للظواهر التى يقوم عليها كل علم من هذه العلوم الاتصالية الجماهيرية.

وإذا كانت التعريفات التى وضعها العلماء فى المجالات المتخصصة للعلوم الاتصالية الجماهيرية قد وسعت من استخدامات المنهج التجريبى فى مواجهة الظواهر الصحفية والإذاعية وغيرها، فإنها أيضًا وسعت من استخدامات المناهج الأخرى للعلوم الاجتماعية والنفسية والطبيعية والمهم هنا أن التركيز فى الدراسة العلمية لهذه العلوم الاتصالية الجماهيرية سوف يُحدث تكيفًا بين هذه المناهج جميعها وطبيعة الظواهر التى تقوم عليها فى هذه العلوم بما يحقق أهداف الدراسة العلمية وغاياتها(٣١).

ومن حيث المنهج الإحصائى واستخداماته فى مجال الدراسات الإعلامية والاجتماعية فقد أثارت القضايا المنهجية المتعلقة بالاعتماد على الاتجاه الكيفى والاتجاه الكمى فى دراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية والنفسية

والإعلامية كثيراً من الجدل والنقاش بين الباحثين والمتخصصين أفرزت اتجاهات ثلاثة هى[٣٢]:

الاتجاه الأول: الذى شغله القياس الكمى للظواهر الاجتماعية والإعلامية ومدى دقته وموضوعيته الشكلية وكانت الأولوية والأسبقية على حساب الاهتمام بالسياق العام والأبعاد الاجتماعية والتاريخية لهذه الظواهر.

الاتجاه الثانى: يرى بضرورة الاعتماد على الأساليب الكيفية حيث إن معظم مشكلات البحث والدراسة فى العلوم الاجتماعية والإعلامية ذات طبيعة كيفية، بالإضافة إلى صعوبة استخدام الرياضيات أو إجراء التطبيقات الرياضية ويرجع ذلك إلى اختلاف مفهوم النظرية وصعوبة تعريف المتغيرات الأساسية وقياسها فى العلوم الاجتماعية عنها فى العلوم الطبيعية.

الاتجاه الثالث: حاول التوفيق والجمع بين كل من الاتجاهين السابقين وجاءت محاولاتهم من منطلق أن المعطيات التى يسفر عنها أى بحث إعلامى أو اجتماعى أو نفسى تنقسم إلى بيانات كيفية لا يصلح معها سوى الاتجاه الكيفى أو أخرى كمية لا يصلح معها سوى أساليب وطرق الاتجاه الكمى ، هذا بالإضافة إلى إمكانية تحويل البيانات الكيفية إلى بيانات كمية يمكن قياسها من خلال إحلال وحدات كمية بدلا منها، وعلى ذلك يمكن معالجتها كميًا مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار ردها مرة ثانية إلى مضمونها الإعلامى أو الاجتماعى مع وضع التحفظات اللازمة حتى لا يضيع هذا المضمون خلال الأرقام والمعادلات والصيغ الكمية.

ومن هذا المنطلق فإن معظم البحوث الإعلامية والاجتماعية موضوع الدراسة جمعت بين الاتجاه الكمى والكيفى وإن كانت الدراسات النفسية اعتمدت على الإحصاء ولم تلجأ للأسلوب الكيفى فى التحليل إلا نادراً. وبذلك نصل إلى التكامل المنهجى بين المجالات المتخصصة لهذه العلوم ومفاهيمها العلمية والأساليب المستخدمة فى دراستها لنحقق بذلك أسس قوية تقوم عليها علوم مستقلة ومتميزة وقادرة على التفاعل مع كل العلوم الاجتماعية والنفسية والطبيعية التى انفصلت عنها ولتكون أكثر قدرة على العطاء والإثراء كأطر علمية متميزة لمهن متخصصة.

ويتوقف استخدام منهج أو أكثر من منهج على طبيعة الدراسة والمجتمع الذى تُجرى فيه والأهداف التى يسعى الباحث للوصول إليها، ويمكن أن نجمل عدة اعتبارات ينبغى مراعاتها عند استخدامنا للمناهج البحثية من أهمها(٣٣):

١ـ إن أى منهج لا يُغطى الظاهرة التى يدرسها بمجرد الإشارة إليه وإنما يُغطى ما وصلت إليه أداته والظواهر الاجتماعية والنفسية والإعلامية لا يمكن أن يُغطيها منهج واحد فكل علم له ما يناسبه من المناهج وليس هناك ما يمنع من الجمع بين اثنين أو أكثر من منهج منها لأن الفصل بين مختلف المناهج بالنسبة لأي علم من العلوم يكاد يكون مستحيلاً، فالباحث له الحق فى أن يختار من هذه المناهج ما يناسب طبيعة العلم الذى يدرسه والمشكلة التى يتناولها، المهم هو التفاعل والتقارب وعدم التشبث بين مناهج متنافرة كأن يستخدم الباحث أكثر من منهج يتعارض الواحد مع الأخر تعارضا جذريا كاتخاذ منهج التحليل النفسى والمنهج التجريبى والقياسى فى علم النفس أو الاعتماد على المنهج التاريخى والوصفى فى الدراسة الإعلامية الواحدة لعجزها عن تحقيق الضبط الكمى من ناحية وعدم إمكانية التحقق العلمى من قيمة النتائج من ناحية أخرى.

٢ـ ضرورة الوعى بأن المنهج يكمن فى كفايته الإجرائية، فالمنهج ما هو إلا أسلوب يتوسل به الباحث لتحقيق الأهداف المحدودة والمسطره سلفًا للبحث المزمع إنجازه وهو ما لا يمكن تلمسه إلا من خلال التطبيق، وفيما عدا ذلك تبقى كل المناهج صالحة بالقوة على قدم المساواة مهما اختلفت منطلقاتها وخلفياتها المرجعية والأيدولوجية ما لم تثبت التجربة عكس ذلك، فكفاية المنهج تبقى قضية نسبية فى ارتباط نام بخصوص الموضوع المدروس ومعطياته المرافقة الأخرى كالظرف التاريخى والحضارى.. الخ بحيث لا يمكن مثلاً الاعتماد كلية على المنهج الإحصائى فى الدراسات الإعلامية ذات الأبعاد الاجتماعية حيث يُفقدها القدرة على التعمق فى فهم وتوصيف وتفسير العلاقة ما بين الوسيلة الإعلامية والمجتمع الذى تعمل فى إطاره أو الاكتفاء بالمنهج البنيوى الشكلانى فى دراسة ذات أبعاد سوسيولوجية وهو ما دفع العديد من الباحثين للتأكيد على ضرورة اعتبار خصوصية الموضوع من حيث هو

غاية وهدف فى عملية اختيار المنهج ودراسة المشكلات ذات الأهمية بما يحقق الانسجام المطلوب بين رؤية المنهج من جهة وأهداف البحث من جهة ثانية.

٣ـ ضرورة مراعاة مدى مواءمة المناهج والأدوات المستخدمة للسياق الاجتماعى حيث إن بعض المناهج والأدوات البحثية الوافدة إلينا تعكس مواقف أيديولوجية أو مذهبية تنتمى إلى حضارة أو مجتمعات بعينها وقد تكون غير ملائمة لأوضاعنا والظروف التى تمر بها مجتمعاتنا وهو ما أكده كثير من الباحثين وبنسبة ٥٨٪، من وجود قصور منهجى مرده إلى التبعية المنهجية والفكرية وبالذات فى مجال الإعلام حيث شغل الباحثون أنفسهم على وجه الخصوص فى السبعينات والثمانينات وأوائل التسعينات بالقياس الكمى للظواهر الإعلامية والاجتماعية ومدى دقته وموضوعيته الشكلية وكانت الأولوية والأسبقية على حساب الاهتمام بالسياق العام والأبعاد الاجتماعية والتاريخية لهذه الظواهر.

ومن وجه نظر الباحث إذا كان العلماء الغربيين قدموا إلينا كثيراً من الإجابات الصحيحة التى اتبعوا فى الوصول إليها منهجًا علميًا محدداً فى كثير من المجالات ومنها الإعلام والاجتماع وعلم النفس وأنه إذا كانت ظروفنا التاريخية والحضارية الحالية تحتم علينا الاقتباس فى كثير من المجالات ومنها المناهج والأدوات ما دام الاقتباس فى حد ذاته يعتبر أمراً طبيعيًا بين الأمم والشعوب لكون الفكر لا وطن له وليس حكراً على أحد وإنما العيب يكمن فى نوعية وطبيعة هذا الاقتباس لأنه إذا كان الانفتاح ضروريًا فإنه يُصبح انسلاخًا وتبعية إن هو لم يتقيد بشروط موضوعية تضبط حدوده وتوجهاته وتحافظ للذات على خصوصيتها وتمايزاتها شريطة أن لا تبلغ هذه المحافظة حد الانغلاق فتنقلب لتقوقع يسد الأبواب ويورث التخلف فنحن فى حاجة إلى الاطلاع على تراث الغير والأخذ بمناهجه ولكن لا تراثا نندمج فيه ونذوب فى دروبه ومتعرجاته بل كمكتسبات علمية ومنهجية.

فمسايرة علماء الاجتماع والإعلام الغربيين وترديد نظرياتهم لمجرد أنها قدمت إجابات صحيحة عن سؤال ـ ما ـ يحمل دائمًا خطر التخلى عن إثارة

أسئلة مغايرة قد تكون أكثر اتساقًا مع القيم الخاصة لحضارتنا وثقافتنا لحضارات أو ثقافات أخرى. لذا نريد تقدمًا فى بحوثنا يُراعى الجوانب المنهجية الضرورية وفى نفس الوقت لا ننسلخ عن تراثنا وهو هدف لا يمكن تحقيقه إلا باتخاذ موقف وسط توفيقى يأخذ بعين الاعتبار وضعنا الحضارى الراهن بكل أبعاده وخصوصياته من تاريخ وقيم وعادات وتقاليد من جهة وحضارة غربية حديثة تتجاوز معطياتها بمراحل كثيرة من جهة أخرى بعيدًا عن محاولات التلفيق التى يسعى البعض من خلالها إلى إيداع مصطلحات وتسميات بديلة لما هو قائم ومستمر من مفاهيم ونظريات ومناهج وأدوات وأساليب غربية فمثل هذا التلفيق يمثل تكريسًا للتبعية وطمسًا لمحاولات التجديد والإبداع مما سيعمل دون شك على النهوض ببحوثنا الإعلامية والاجتماعية والنفسية بعيدًا عن كل تبعية أو استلاب وهو ما لا يمكن ترجمته على مستوى الواقع إلا بالقيام بعمليتين متكاملتين هما:

أولاهمـــا: الرجوع إلى تراثنا العلمى وسبر أغواره واكتشافه من جديد لحصر العناصر المعرفية والمنهجية واستحضار ما هو منها حى وملائم لتوظيفه كما هو أو ما هو قابل للتطوير قبل التوظيف لننطلق منه أو نستمد بعض ما يقوى فينا قدراتنا البحثية ومواكبة التطور المنهجى.

وتراثنا الإسلامى بلا شك حافل بالقواعد العلمية للعلوم البحثية والتى وضعها علماء المسلمين وخلصوا إلى مناهج علمية دقيقة تصلح أساسًا لتقدم العلوم فى مختلف المجالات وقد كانوا يتابعون بحوثهم باستقلالية وأصالة فلم ينساقوا وراء القياس الأرسطى بل عارضوا المنهج القياسى وخرجوا على حدوده إلى اعتبار الملاحظة والتجربة مصدراً للبحث والتقدم العلمى فاكتشفوا العلاقات السببية والقوانين الطبيعية والعلوم الرياضية عن طريق منهج البحث التجريبى فـ «فبيكون» و«ديكارت» و«مل» وغيرهم كانوا تلاميذاً لابن الهيثم والبيرونى وجابر بن حيان وابن سينا والرازى وابن النفيس والخوارزمى وابن خلدون وغيرهم كثيرون.

وإذا كان علماء المسلمين لم يؤلفوا كتبًا خاصة فى الحديث عن المناهج ولم يفردوا موضوعه بالدراسة على النحو الذى يحدث اليوم فليس معنى ذلك

أنهم لم يدركوا قيمة هذا الأساس الهام فى تقدم الفكر والعلم وإنما الذى نتصوره أنهم أغفلوا هذا لكثرة اهتمامهم بالتطبيق المنهجى فى بحوثهم ودراساتهم حيث لا تقتضى الضرورة الحديث النظرى عن أمور واقعية يصل العلم بها فى نظرهم إلى حد ما يُعلم بالضرورة ولو حاولنا أن نكشف عن بعض الملامح المنهجية التى طبقها العرب والمسلمون فإننا سوف نجدها واضحة فى جوانب متعددة منها:

١ـ ما قام به العلماء من تصنيف العلوم إلى صنف طبيعى يهتدى إليه الإنسان بفكره ويشمل العلوم الحكمية والفلسفية وتسمى العلوم العقلية، وقسم نقلى يأخذه الإنسان عمن وضعه ويشمل علوم التفسير والقراءات والحديث وأصول الفقه وعلم الكلام وصنف يتقدم العلوم النقلية وهى العلوم الإنسانية وتشمل علوم اللغة والنحو والبيان والأدب ولكل فن رجال يُرجع إليهم فيه وأوضاع يُستفاد منها التعليم.

٢ـ ما قام به علماء الحديث من التقميش والتفتيش وعبارتهم المأثورة فى ذلك «إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش» وهى لا تعنى سوى حض الباحث على الاستقراء والاستقصاء والنقد والتمحيص هو ما تقوم عليه المناهج العلمية الإسلامية.

٣ـ ما التزم به العلماء المسلمون من الموضوعية والحيدة والنزاهة فى دراساتهم للغة ونصوصها فقد كانت آراؤهم ومناقشاتهم مبنية على متابعة النصوص والتعمق فى فهمها وليس هناك ما يمنع الدارس من الرجوع عن رأيه إذا ما عارضته الأدلة اليقينية.

٤ـ المؤلفات التى دونها العلماء وما تنم عليه من وعى منهجى من حيث الدقة وإحكام فى التبويب والترتيب والنقد والملاحظة وأقوالهم المأثورة فى صميم الحديث عن المنهج وذلك مثل قول الخليل بن أحمد «ما وضعت شيئًا حتى عرفت آخر ما يلزمنى منه» وهذه العبارة على الرغم من وجازتها تفيد بأن الخليل كان يسير فى كتابة مؤلفاته على منهج محدد له بداية ونهاية.

وثانيهما: التفتح بوعى وعمق وحرية على تراث الغرب وبجد فى شتى نواحيه ومختلف ميادينه ليس لمجرد اتباعه وطمسًا لمحاولات التجديد والإبداع فينا والبقاء فى مؤخرة الركب لاهثين خلفه ولكن لاكتساب المقومات التى أهلته للتقدم وامتلاك المفاتيح التى ينبغى سند أى باب فى وجهه يريد دخوله وارتياده، وبدون هذا الامتلاك وذلك الاكتساب سوف نظل مجرد مستهلكين لما يتبقى من فتات يلفظه الآخرين.

إن إجراء هذه العملية يتطلب وسائل وإمكانات تقوم على مدى إحساسنا بالواقع الذى نعيشه ومدى الرغبة فى تغييره والقدرة على هذا التغيير، كما تقوم على معرفتنا بالذات والكيان فتحديدنا للغايات والأهداف ونظرتنا الموضوعية للآخرين فى غير قبول أو رفض مسبقين ونقوم قبل هذا وبعده على الوعى الصحيح بالعملية لفهمها وإدراكها واستيعابها فى حقيقتها وعمقها بعيدًا عن النماذج الجاهزة للصنع والتى تميل إلى التبسيط من خلال التنميط والجدل العقيم الذى لا يستند إلا على مجرد التحيز والخصومة.

وبذلك يتحقق التكامل الواعى مع المناهج بعيدًا عن كل تعصب أو تشيع أعمى مما ستكون له عواقب إيجابية على تراثنا.

***

المبحث الثانى

نتائج الدراسة التطبيقية

من خلال دراسة ٥٠ خمسين أطروحة للماجستير والدكتوراه والتى ربطت فى موضوعها بين الإعلام والاجتماع أو الإعلام وعلم النفس. تم التوصل إلى النتائج الآتية:

أولا: المناهج البحثية المستخدمة فى البحوث الاجتماعية والنفسية والإعلامية:

١ـ على الرغم من تقسيم العلوم وتنوعها إلى علوم الإعلام والاجتماع وعلم النفس وغيرها وازدياد مجالات البحث والدراسة فيها، إلا أنها مرتبطة منهجيًا ببعضها البعض ارتباطًا وثيقًا فقد اتضح من الدراسة أنه على الرغم من تعدد كتب المناهج التى اعتمد عليها طلاب الماجستير والدكتوراه التى ترتبط بتخصصاتهم مثل مناهج البحث فى علم الاجتماع وفى الإدارة وفى الخدمة الاجتماعية وفى الإعلام وفى التربية وفى علم النفس إلا أنهم لم يقدموا أى جديد فى مجال المناهج التى يمكن أن تبرز علمًا على الآخر ذلك أن تزايد المواضيع ووحدة المشاغل جعلت العلوم تتداخل بعضها ببعض وبالتالى فإن المنهجيات أصبحت تتأثر فى طلب العلم الواحد لما يجرى فى العلوم الأخرى.

٢ـ أما من حيث مدى استعانة الأطروحات التى تم تحليلها بالمناهج البحثية فقد اتضح من التحليل الإحصائى لبيانات الجدول رقم١، أن نسبة ٤٤٪ من الأطروحات محل الدراسة لم تستعن بأكثر من منهج واحد من مناهج البحث بينما استعانت بالمنهج التكاملى ١٥، خمس عشرة أطروحة وذلك بنسبة ٣٠٪، وهو اتجاه محمود حيث يسمح بالتوسع فى المقارنة المنهجية أكثر للظاهرة موضوع الدراسة والنظر إليها من مناظير مختلفة أو من خلفيات متباينة، فى حين أن ١٣، ثلاث عشرة أطروحة بنسبة ٢٦٪ لم تذكر أنها استعانت بأية منهج من مناهج البحث، وأن عدم التحديد لا يرتبط بالفترة التاريخية التى أجريت فيها الدراسة فقد كان يُعتقد أن هذا يرجع إلى التطور المنهجى الذى شهدته البحوث الإعلامية والاجتماعية

والنفسية يمكن أن يكون عاملاً مؤثراً فى إضفاء ظاهرة عدم اهتمام بعض الباحثين بتحديد مداخلهم البحثية، غير أنه ظهر للباحث أن هذا غير صحيح فى جميع الأحوال وهو ما يدعم النتائج التى توصلت إليها كثير من الدراسات التى أثبتت أن العنصر الزمنى ليس له أى تأثير فى هذا الشأن.

ومن الدراسات التى استعانت بالمنهج التكاملى:

- الرسالة التى تقدمت بها سامية على حسين لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب - جامعة الأسكندرية ١٩٩٣ وموضوعها «تأثير الاتصال الثقافى على القرية المصرية» حيث ذكرت الباحثة أنها استعانت بثلاثة مناهج هى المنهج الوصفى والمنهج التاريخى والمنهج المقارن.
- الرسالة التى تقدم بها محمد سيد محمد عسران لنيل درجة الدكتوراه من قسم العلاقات العامة والإعلان بكلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٩١ وموضوعها «دور الاتصال فى عملية المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية» حيث أوضح الباحث أنه استعان بمنهجى المسح الإعلامى والمنهج المقارن.

ومن الدراسات التى لم تشر إلى المناهج التى استخدمتها:

- الدراسة التى تقدم بها وجيه سمعان عبد المسيح لنيل درجة الدكتوراه من قسم الصحافة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٩ وموضوعها «دور التلفزيون فى التغير الثقافى والاجتماعى».
- الدراسة التى تقدم بها زكى عبد المجيد إبراهيم لنيل درجة الدكتوراه من قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٨ وموضوعها «القيم الاجتماعية للانفتاح الاقتصادى فى مصر كما تعكسها نماذج من الإنتاج السينمائى».

ـ الدراسة التى تقدم بها محمد خضر عبد المختار للحصول على درجة الماجستير من قسم علم النفس كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٩٢ وموضوعها «علاقة مشاهدة النماذج العدوانية فى التلفزيون بالعنف لدى الشباب الجامعى».

٣ـ يؤخذ على الدراسات النفسية أكثر من غيرها أنها تفتقد إلى المنهج التكاملى وتعتمد بشكل أساسى على المناهج الكمية التى تعتمد على أرقام والأرقام حقائق جامدة آلية صماء لا بد للباحث السيكولوجى أن ينظر إليها وفقًا لمنهج التحليل النفسى وسبر أغوارها وارتياد مجالها والتعرف على مكونات النفس البشرية وما تحتويه من اللاشعور ومن الآمال والآلام والذكريات المنسية أو المكبوتة أو المترسبة فى أعماق اللاشعور والتعرف على صراعاتها وأزماتها وعقدها والنظر إلى كل هذه القوى الفاعلة فى الذات الإنسانية نظرة تكاملية تأخذ بعين الاعتبار ما تتسم به العلاقة بين قوى الذات الشعورية واللاشعورية وسمات الشخصية ومقوماتها وما تقوم بينها من علاقة التفاعل القائمة بين عناصر الشخصية فيما بينها من ناحية وبين الشخصية الإنسانية باعتبارها كلا متكاملاً وبين عناص البيئة الخارجية المادية والاجتماعية وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الاعتماد على أكثر من منهج من المناهج التى تلائم الدراسات النفسية كالاستبطان أو التأمل الباطنى ثم هناك منهج الإسقاط والذى يعتمد على عملية الإسقاط وهى عملية عقلية لا شعورية يُسقط فيها الإنسان مشاعره وميوله على غيره من الناس والأحداث والأشياء ثم هناك المنهج الوصفى الذى يهتم بوصف الظاهرة النفسية والمنهج التاريخى ويهتم بدراسة تاريخ الإنسان أو تاريخ المرض وهناك منهج التحليل النفسى والذى يستهدف الكشف عن محتويات اللاشعور ثم هناك المنهج التجريبى وغيرها من المناهج المتعددة التى يمكن الإفادة بها فى علم النفس والاجتماع.

٤ـ أما عن أهم المناهج التى اعتمدت عليها الأطروحات موضوع الدراسة فقد تبين أن أوسع المناهج وأكثرها انتشارًا منهج المسح الذى احتل المرتبة الأولى بنسبة ٤ , ٢٧٪ وقد اتسع استخدام هذا المنهج فى الدراسات الإعلامية إلى ٩ , ٣٥٪، بينما انخفض فى الدراسات الاجتماعية

إلى ١٦,٧٪، فى حين أن المنهج الوصفى احتل الأهمية الأولى فى الدراسات الاجتماعية وذلك بنسبة ٣٨,٩٪، واحتل الأهمية التالية فى الدراسات الإعلامية وذلك بنسبة ٢١,٥٪، وفى رأى الباحث أن الصعود والهبوط بالنسبة للوصف والمسح بين الدراسات الإعلامية والاجتماعية لا يرجع إلى اعتبارات علمية بقدر ما يرجع إلى اختلاف الباحثين بين ما هو نوع وما هو منهج حيث يميل كثير من الباحثين الاجتماعيين إلى إطلاق اسم الوصف على الدراسات المسحية بينما يميل الإعلاميون إلى اعتبار الوصف نوع من أنواع الدراسة ومن خلاله يتم استخدام منهج الوصف.

ومن الدراسات الإعلامية التى اعتبرت الوصف نوعًا من أنواع الدراسة:

- الدراسة التى تقدم بها عدنان حسن محمود لنيل درجة الماجستير من قسم الإذاعة بكلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٩٦ وموضوعها «دور التلفزيون فى التنمية الاجتماعية» حيث أشار الباحث إلى أن دراسته تنتمى إلى نوع البحوث الوصفية واستخدام منهج المسح فى إطارها.

ومن الدراسات الاجتماعية التى أشارت إلى أن الوصف منهجًا وليس نوعًا: -

الرسالة المعنونة بـ «تأثير الاتصال الثقافى على القرية المصرية» حيث أشارت إلى أنها اعتمدت على المنهج الوصفى.

٥- على الرغم من أن المنهج التجريبى هو أمثل المناهج وأقدرها على تحقيق أهداف بحوث التأثير إلا أن استخداماته كانت محدودة فى الدراسات الاجتماعية بنسبة ١١,١٪ وفى الدرسات الإعلامية بنسبة ٥,١٪، وقد يرجع ذلك إلى حداثة تناول الدراسات التجريبية ضمن المقررات التى تم تدريسها فى مادة مناهج البحث على الطلاب فى أقسام الإعلام والاجتماع، هذا بالإضافة أيضًا إلى عزوف كثير من الباحثين عن استخدام التجارب فى دراساتهم بسبب إجراءاتها التى تبدو للبعض أنها معقدة وبذلك يختارون بدائل تكون بالنسبة لهم أكثر يسرًا من حيث التطبيق، بينما يرجع استخدام التجريب فى الدراسات النفسية إلى انتهاج علم النفس الحديث منهج العلوم الطبيعية فى الظواهر النفسية كالقدرات أو

السمات أو الاستعدادات أو الأمراض، الأمر الذى يحتم على هذه الدراسات الاستعانة بالمنهج التجريبى وهو ما يتميز به عن الدراسات الإعلامية والاجتماعية ومن الدراسات التى اعتمدت على المنهج التجريبى:

- الدراسة التى تقدم بها محمد محمد فهمى لنيل درجة الماجستير من قسم الإذاعة.. كلية الإعلام - جامعة القاهرة ١٩٨٥ وموضوعها «علاقة الدراما التى يعرضها التلفزيون بالأمراض البنفسجية» حيث اعتمد الباحث على المنهج التجريبى باستخدام أسلوب القياس القبلى والبعدى للمجموعة الواحدة.
- الدراسة التى تقدمت بها نرجس حلمى بياوى لنيل درجة الماجستير من قسم الإذاعة بكلية الإعلام - جامعة القاهرة ١٩٩٢ وموضوعها «استخدام الفيديو فى التنمية الزراعية» حيث اعتمدت الباحثة على المنهج التجريبى وأوضحت أن التصميم التجريبى الذى اتبعته هو القياس والبعدى لنفس المجموعة.
- الدراسة التى تقدم بها هانى محمد رشاد درويش لنيل درجة الدكتوراه من قسم علم النفس كلية التربية - جامعة الأزهر ١٩٩٦ وموضوعها «أثر التدخل الإعلامى على اتجاهات الطلاب نحو تطوير الامتحانات فى جماعات تمر بمراحل غائية» حيث أوضح الباحث أنه استعان بالمنهجى التجريبى باستخدام القياس القبلى والبعدى للمجموعة الواحدة.

ثانيًا: أدوات جمع البيانات فى البحوث الاجتماعية والنفسية والإعلامية:

قد تبين من الدراسة أن الباحثين فى مجال الإعلام والاجتماع وعلم النفس يستخدمون أدوات بحثية منها تحليل المضمون والملاحظة والمقابلة ومقاييس العلاقات الاجتماعية والرأى العام والاختبارات النفسية وغيرها، وقد يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع بياناته أو أكثر من أداة وذلك مرهون بصلاحية بعض الأدوات لبعض المواقف والبحوث عنها فى غيرها وكذلك بالنواحى التى يدرسها فى الظاهرة، وأيضًا وفقًا للأسلوب أو الطريقة أو المنهج المستخدم فى الدراسة، فالمسح الاجتماعى أو الإعلامى مثلا لا يعتمد على

أداة واحدة بل يستخدم عدة أدوات كالملاحظة والمقابلة والاستبيان وتحليل المحتوى.

وقد ظهر من التحليل الإحصائى لبيانات الجدول رقم (٣) أن غالبية الدراسات استعانت بأكثر من أداة وذلك بنسبة ٦٠٪، الأمر الذى يسمح فى هذه الدراسات بإلقاء المزيدن من الوضوح على الظاهرة موضوع الدراسة، كما أن استخدام أكثر من أداة واحدة يؤدى إلى الوثوق فى البيانات التى تم جمعها عن طريق هذا التعدد.

ومن الدراسات التى أوضحت أنها اعتمدت على أكثر من أداة بحثية:

- الدراسة التى تقدمت بها نادية عبد الفتاح مصطفى لنيل درجة الماجستير فى علم النفس من كلية الآداب جامعة عين شمس وموضوعها «أثر مشاهدة العنف التمثيلى على تنمية النزعة العدوانية لدى الأطفال» وقد أوضحت الباحثة أنها استعانت بالمقابلة المنظمة والملاحظة ودراسة الحالة كأداة من أدوات جمع البيانات.
- الدراسة التى تقدم بها عبد الفتاح إبراهيم عبد النبى لنيل درجة الدكتوراه من قسم الصحافة كلية الإعلام - جامعة القاهرة وموضوعها: «دور الصحافة فى تغيير القيم الاجتماعية»، حيث أوضح الباحث أنه استعان بالمقابلة الفردية والجماعية والملاحظة والاستقصاء كأدوات لجمع المادة الصحفية. وقد أظهرت الدراسة أن أكثر الأدوات استخدامًا المقابلة وذلك بنسبة ٥ , ٣٩٪، فالملاحظة بنسبة ٤ , ٢٢٪. فالاستبيان بنسبة ٨ , ١٥٪ ثم تحليل المضمون بنسبة ٥ , ١٤٪.
- وقد تميزت الدراسات النفسية عن غيرها من الدراسات الأخرى بأدوات بحثية كالمقاييس النفسية والاختبارات العقلية مما يتلاءم مع طبيعة هذا العلم وعلى سبيل المثال:
- الدراسة المعنونة بـ «أثر التدخل الإعلامى على اتجاهات الطلاب نحو تطوير الامتحانات فى جماعات تمر بمراحل غانية» فقد استعانت

بالاستبيان الموجه إلى المدرسين ومقياس اتجاهات الطلاب وقياس الاختبارات العقلية.

ومن الجداول السابقة التى تناولت المنهج والأداة يتضح ما يلى:

١ـ أن كثيراً من المفاهيم والمصطلحات المستخدمة غير واضحة فى أذهان الباحثين مما أدى بدوره إلى تداخل المفاهيم واختلاط المعانى، فمفهوم المنهج يختلط فى الأذهان بمفهوم الطريقة والأداة والوسيلة والأسلوب على الرغم من المحاولات العلمية الجادة التى بُذلت فى هذا الصدد لصياغة تعريفات محددة. والواقع أن من أبرز عيوب تصنيف مناهج البحث تكمن فى عدم التفرقة الواضحة بين المنهج والوسيلة والأسلوب.

وعلى سبيل المثال الدراسات الوصفية حيث إن البعض يعتبرون الوصف منهجًا فى حين يرى أخرون أنه نوع من أنواع الدراسة والبعض الآخر ينظر إليه على أنه أداة أو أسلوب للبحث، وكذلك الخلط فى تحديد المسح الاجتماعى ودوره وتسميته فهناك من يرى المسح منهجًا ومن يراه نوعًا من أنواع البحوث.

وقد اختلف أيضًا فى دراسة الحالة هل هى منهج أم أداة، فالبعض ينظر إلى دراسة الحالة على أنها منهج بينما ينظر إليها البعض الآخر على أنها أداة وكذلك تحليل المضمون الذى عرضه بعض الباحثين على أنه منهج من مناهج الدراسة فإن باحثين آخرين يؤكدون على أن «تحليل المضمون» ليس منهجًا قائمًا بذاته وإنما هو مجرد أسلوب أو أداة يستخدمها الباحث ضمن أساليب وأدوات أخرى فى إطار منهج متكامل هو منهج المسح.

ولقد وقع الاختلاف أيضًا فى «الإحصاء» حيث ينظر البعض إلى الإحصاء على أنه منهج من مناهج البحث، بينما يراه آخرون أداة أو أسلوب، بل نجد هذا الاختلاف لدى الباحث الواحد فيشير «مثلا» فى إحدى دراساته إلى أنه اعتمد على المنهج الإحصائى بينما يؤكد فى دراسة أخرى على أن الإحصاء أسلوب من أساليب البحث وليس منهجًا.

كما وقع الاختلاف أيضًا فى الملاحظة، فالبعض أسماها وسيلة والبعض أسماها أداة بينما ينظر إليها فريق آخر على أنها منهج، بل تجد هذا الخلاف

فى المؤلف الواحد وعلى سبيل المثال «الملاحظة» حيث اعتبرها بعض أساتذة المناهج فى بعض مؤلفاته فى صفحة ١٣٥، أداة من أدوات البحث ثم يسميها فى صفحة ١٢٨، طريقة من طرق البحث بينما أسماها فى صفحة ١٢٩، منهجًا من مناهج البحث ولكنه فى صفحة ١٣١، يعود فيسميها أسلوبًا ثم يطلق عليها فى صفحة ١٣٤، عملية (٣٤).

ولقد انعكس هذا بالطبع على الباحثين أنفسهم الذين قدموا خططًا ووسائل اعتمدوا فيها على مراجع مختلفة، ومن ثم اختلفت رؤيتهم فى تصنيف المناهج، ومن هنا ظهرت بعض المحاولات الاجتهادية من جانب بعض الباحثين للتفرقة بين ما هو «منهج» وما هو «أداة» و«طريقة» و«أسلوب» حيث نشير إلى أن المنهج يعنى المبادئ والأسس العامة التى يقوم عليها البحث المنظم، أما طرق البحث فهى أكثر تحديداً وذات طابع تطبيقى وإجرائى ويترجم هذا التطبيق فى وسائل محددة لجمع البيانات ويتركز دورها فى تدعيم ركائز منهج البحث، وبمعنى آخر فإن الدور الأول والأساس للمنهج والدور الوسيط «للطريقة» والدور الأصغر للأداة، فمثلاً إذا كان هناك بحث من البحوث تُجمع بياناته من خلال مقابلات أو استبيانات فإن ما يتم جمعه من بيانات فى ضوئها يصبح بدون معنى إن لم توجد طريقة تنسق بينهما كالمقارنة مثلا أو التعامل معها إحصائيًا أو بلورتها فى ضوء دراسة الحالة.

ثالثًا: تحديد مجتمع البحث فى البحوث الاجتماعية والنفسية والإعلامية:

توجد عدة مستويات لتحديد مجتمع البحث فهناك مجتمع الوسائل المقروءة المختارة للبحث أو التحليل ومجتمع الوسائل المرئية والمسموعة وهناك أيضًا مجتمع الاتصال المواجهى، ومن الملاحظ أن غالبية البحوث فى مجال الاجتماع والإعلام وعلم النفس حددت فى العنوان الوسيلة والمجتمع الذى سيتم دراسته وذلك إذا كانت الدراسة ستقتصر على وسيلة أو وسائل بعينها، وهناك أيضًا مجتمع المادة المحللة ومجتمع القائمين بالاتصال والجمهور.

وقد حرصت الغالبية العظمى من البحوث التى أجريت على تحديد مجتمع البحث وذلك بنسبة ٩٢٪ ، فى حين أن الرسائل التى لم تحدد مجتمع البحث بلغت أربع ٤، رسائل فقط اثنتان منهما فى مجال الإعلام وأخرتان فى مجال الاجتماع، وقد اتضح أنه من بين ٩٢٪، من الرسائل التى حددت مجتمع البحث وبنسبة ١٤٪، اعتمدت على أكثر من طريقة من طرق جمع البيانات وقد اتضح من الدراسة أيضًا أن طريقة العينة استخدمت بنسبة ٨٢٪، وإن كان بعض هذه الدراسات لم تشر إلى نوع العينة أو الأساليب المتبعة فى اختيارها وخصائص العينة وسمات مفرداتها ومدى تمثيلها لمجتمعها الطبيعى المسحوبة منه فى حين أن طريقة الحصر الشامل لم تُستخدم إلا بنسبة ١٨٪، وهو ما اتضح من الجدولين رقمى ٥ و ٦.

ومن أمثلة الأطروحات التى أشار أصحابها إلى أنهم استخدموا أكثر من طريقة من طرق استقصاء مادة الدراسة:

ـ الرسالة التى تقدم بها سمعان عبد المسيح لنيل درجة الماجستير من معهد الدراسات والبحوث البيئية ـ جامعة عين شمس ١٩٨٨ وموضوعها «القضايا البيئية كما تقدمها الصحافة المصرية» دراسة تقويمية».

ـ الدراسة التى تقدمت بها أمال عبد الرءوف محمد عثمان لنيل درجة الماجستير من كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة ١٩٩٢ وموضوعها «الدراما التلفزيونية والواقع الاجتماعى» حيث أوضحت الباحثة أنها اعتمدت على أسلوب الحصر الشامل للدراما التلفزيونية المذاعة فى بداية مرحلة التسعينات، كما استعانت بالعينة العشوائية مع الجمهور المشاهد للدراما بلغت ٤٠٠، أربعمائة مفردة.

ـ ومن الرسائل التى أوضحت أنها اعتمدت على العينة الطبقية العشوائية الرسالة التى تقدم بها محمد على محمد شومان لنيل درجة الدكتوراه من كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة ١٩٩٠ وموضوعها «دور الإعلام المصرى فى تكوين الرأى العام دراسة نظرية وتطبيقية»

ـ ومن الرسائل التى اعتمدت على المسح الشامل الدراسة التى تقدم بها مأمون إبراهيم لطفى لنيل درجة الماجستير من قسم علم النفس كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٨٦، وموضوعها «مشاكل الشباب فى وسائل الإعلام دراسة نفسية فى تحليل محتوى رسائل الشباب لمجلة حواء الأسبوعية».

ـ ومن الرسائل التى لم تحدد طرق انتقاء مادة الدراسة الرسالة التى تقدم بها زكى عبد المجيد زكى إبراهيم للحصول على درجة الماجستير من قسم الاجتماع كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٨ وموضوعها «القيم الاجتماعية للانفتاح الاقتصادى فى مصر كما تعكسها نماذج من الإنتاج السينمائى».

ـ ومن حيث استعانة الدراسات الاجتماعية والإعلامية والنفسية بأساتذة من غير التخصص الأساسى الذى ينتمى إليه الباحث فى مجال الإشراف، فقد اتضح أن نسبة ٥٠٪ من الدراسات استعانت بإشراف أو مناقشة من خارج التخصص الذى ينتمى إليه الباحث، وإن كانت الاستعانة بالمناقشين أكثر من الاستعانة فى مجال الإشراف حيث بلغت نسبة الرسائل فى مجال الاجتماع والإعلام وعلم النفس بمشرفين من خارج التخصص ولهم علاقة بموضوع الدراسة نسبة ١٤٪ ، وهى نسبة محدودة تؤثر سلبًا على البحث العلمى لأن تقارب الاهتمامات العلمية للمشرف الأكاديمى على موضوع بحث الطالب يضيف بعداً أساسيًا فى تجاوز الصعوبات العلمية والعملية لأن المشرف فى هذه الحالة سيكون قادرا على توجيه الطالب مباشرة إلى القضايا ذات الصلة بموضوع البحث، الأمر الذى يسهم فى استغلال الطالب لقدراته الذهنية وتوظيفها من أجل الإبداع والابتكار.

ـ ومن الدراسات الإعلامية التى استعانت بمناقشين فى مجال الاجتماع الرسالة المعنونة بـ «دور الإعلام المصرى فى تكون الرأى العام» والمناقش هو الأستاذ الدكتور/ محمود عوده أستاذ الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس.

ـ ومن الدراسات الإعلامية التى استعانت بإشراف فى مجال الاجتماع الرسالة المعنونة بـ «دور الصحافة فى تغيير القيم الاجتماعية» والمشرف هو الأستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى أستاذ الاجتماع.

ـ ومن الدراسات الاجتماعية التى استعانت بمناقشين فى مجال الإعلام الرسالة المعنونة بـ «القيم الاجتماعية للانفتاح الاقتصادى فى مصر كما تعكسها نماذج من الإنتاج الفنى السينمائى» والمناقش هى الأستاذة الدكتورة / منى الحديدى.

ـ ومن الدراسات النفسية التى استعانت بإشراف إعلامى الرسالة المعنونة بـ «دور وسائل الإعلام فى تغيير الاتجاهات النفسية والاجتماعية نحو المرأة العراقية» والمشرف هو الأستاذ الدكتور/ زكى جابر أستاذ الإعلام بكلية الآداب جامعة بغداد.

ـ أما من حيث الوسائل الإعلامية التى حظيت باهتمام الباحثين فى مجال الإعلام والاجتماع وعلم النفس اتضح أن التلفزيون بصورة منفردة أو مع وسائل إعلامية أخرى احتل الأهمية الأولى من بين الوسائل المسموعة والمقروءة، بينما احتلت جريدة الأهرام الأهمية الأولى من بين الوسائل المقروءة.

***

رابعًا: أهم القضايا التى عالجتها البحوث الإعلامية والاجتماعية والنفسية:

أما عن القضايا التى عالجتها الأطروحات موضوع الدراسة فقد تنوعت وتعددت اهتمامات هذه البحوث مع تعدد وتنوع اهتمامات البيئة والمجتمع فمنها ما ارتبط بالبيئة التعليمية والثقافية ومنها ما ارتبط بالبيئة الاجتماعية والنفسية ومنها ما ارتبط بالبيئة السياسية بينما اتجه جانب أخر من الدراسات لبحث الظواهر الاقتصادية وتأثيراتها المختلفة، وقد توصلت هذه الأطروحات إلى عدة نتائج من أهمها:

١ـ أنَّ وسائل الإعلام لا تعمل بمعزل عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة فى المجتمع وأن اهتمامها بالجوانب النفسية يغلب على اهتمامها بالمجالات التنموية الأخرى وذلك بقصد تزييف الوعى لدى الرأى العام بموضوعات لا طائل من ورائها سوى انشغال الناس بها والبعد عن التفكير فى قضاياهم المصيرية(٣٥).

٢ـ إن مشاهدة البرامج المتخصصة المرتبطة بقضايا التنمية المحلية تسهم فى زيادة معدل المعرفة بجميع هذه القضايا كما تسهم فى زيادة الاتجاهات الإيجابية بشأن قضايا المشروعات الصغيرة والتنمية السياحية والزراعية وتزيد مشاهدة هذه البرامج المتخصصة من النوايا السلوكية الإيجابية بشأن قضايا التنمية السياحية وحماية البيئة من التلوث كما تزيد من المشاركة فى المجالات المرتبطة بقضايا المشروعات الصغيرة والتنمية السياحية والتنمية الزراعية(٣٦).

٣ـ إن وسائل الإعلام تلعب دورًا كبيرًا فى تحديد أولويات القضايا والأحداث الخارجية التى يعتبرها الأفراد أهم ما يحدث فى العالم وأن القضايا التى اهتمت بها وسائل الإعلام فى الدرجة الأولى جاءت بنفس الاهتمام لدى الأفراد مما يؤكد أن اهتمام وسائل الإعلام بالقضايا يؤدى لاهتمام الأفراد بها أيضًا بينما أشارت كثير من الدراسات إلى أن القضايا المحلية لم تحظ باهتمام وسائل الإعلام إلا إذا حظيت بالاهتمام الرسمى والاهتمام من جانب النخبة الحاكمة على المستوى القومى(٣٧).

٤ـ إن الدراما المقدمة على الرغم من عدم تجانسها فى أنها تمثل الواقع الحضرى دون اهتمام بالمجتمعات الريفية إلا أنها تعمل على تدعيم الإيجابيات أكثر من تدعيم السلبيات، ومن القيم الإيجابية التى تدعمها احترام العلم والمعرفة ـ الأمانة ـ الدفاع عن الحقوق الفردية ـ الأصالة والوفاء ـ العزة والكرامة ـ الشجاعة والكرم ـ حسن الجوار ـ احترام العمل وإتقانه ـ الانتماء للوطن والاعتزاز به(٣٨).

٥ـ أما الأفلام التى تقدم من خلال وسائل الإعلام فإنها عمدت إلى تشويه صورة مجتمعاتنا عندما صورت عوامل الشر والفساد وقد تغلبت على الخير والصلاح، والأفلام بذلك تقدم صورة تبعث على اليأس والقنوط عندما تصور المجتمع على أنه مرتع خصب لكل الجرائم والبلايا والرذائل، كما عمدت إلى معالجة أنماط حياة اجتماعية مشوهة فأبرزت حياة العزوبية وصورتها على أنها انطلاق وحرية، وعندما عالجت حياة المتزوجين جعلتها خالية من المسئوليات وصورت بيت الزوجية على أنه أشبه بالفندق(٣٩).

٦ـ إن الاتصال الجماهيرى والمباشر يقوم بدور هام فى عملية مشاركة الجماهير فى الأنشطة والمجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة حيث يكون للاتصال الجماهيرى دوراً كبيراً فى خلق المعرفة والوعى والإدراك لدى الجماهير المختلفة فى حين يكون للاتصال المباشر الدور الأكبر فى قيام الفرد بسلوك إيجابى مشارك فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإذا كانت غالبية الدراسات التى عالجت دور الإعلام فى نشر المعلومات عن الأفكار الجديدة وأن قنوات الاتصال الشخصى أو المباشر كانت أهم نسبيًا من أجهزة الإعلام فى تحقيق وظيفة الإقناع واتخاذ القرار فليس اتفاق بعض نتائج هذه الدراسات معناه أن مثل هذه النتائج أصبحت من المسلمات إذ قد يكون للاتصال الشخصى أهميته النسبية فيما يتعلق بالموضوعات السياسية، ومن الناحية الأخرى فقد تمثل وسائل الإعلام دوراً بارزاً بالنسبة لنشر المعرفة بالموضوعات الاجتماعية إذ إن عملية انتشار المعلومات عن

الموضوعات المختلفة سياسية كانت أو اجتماعية واستيعابها من جانب الجمهور تؤثر فيها عدة عوامل تتصل بطبيعة الموضوع والموقف الاتصالى ككل(٤٠).

٧ـ أن الغالبية العظمى من القائمين بالاتصال ترى أن العلاقات الأسرية والعائلية فى المجتمع المصرى شهدت تدهوراً خطيراً وأنها تتجه إلى التفكك بدلا من الترابط والتماسك الذى كان سائداً من قبل ويرجع سبب ذلك من وجهة نظر القائمين بالاتصال إلى الضغوط الاقتصادية وارتفاع نفقات الحياة والصراع المادى وخروج المرأة للعمل وتأثير المضامين الإعلامية الهابطة، وأنه يمكن معالجة كل هذا بالعودة إلى الدين باعتباره المخرج الوحيد لمحاربة النزعات المادية التى تضر بالعلاقات الأسرية وتقوم النماذج الشاذة والتركيز على دور وسائل الإعلام والمدرسة والأسرة.

٨ـ أن وسائل الإعلام ساهمت بقسط وافر فى اهتزاز الدور الذى تقوم به المدرسة والأسرة، فإنه على الرغم من تضاؤل نسبة الأحداث الذين أعربوا عن ثقتهم فى التلفزيون فى حالة تعارضه مع معلومات الوالدين فإن غزو التلفزيون للأسر بالشكل الذى نراه الآن من شأنه إضعاف السلطة التى يمارسها الآباء على أبنائهم فقد توصلت أبعض النتائج إلى أن الأحداث الذكور لا يثقون بوالديهم إذا تعارضت معلومات الوالدين مع معلومات التلفزيون، بينما توصلت بعض الدراسات الأخرى إلى أن المشاهدة بالنسبة للشباب تعتبر تسلية وترفيه وأن صور العدوان والعنف فى برامج التلفزيون أصبحت شيئًا مألوفًا بل أصبحت شيئًا سلبيًا مما جعل الشباب يقبل على مشاهدة الأفلام المثيرة والمليئة بالعنف وأن العنف والجريمة محصلة للعوامل الاقتصادية، فالبطالة وسوء الأحوال الاقتصادية من العوامل الهامة التى ساعدت على الضعف باعتبار الشباب قوة منتجة تقف عاجزة عن مواجهة الواقع والإحساس بالفراغ مما يدفعه إلى التورط فى جرائم العنف(٤١).

٩ـ أن التـفلزيون يعـتبـر من الوسـائل الفـعالـة فى إحداث الآثار السلـبيـة فى الأطفال، فدراما العنف تترك صداها فى نفوسهم وتحدث انطباعات سيئة لديهم وتدفعهم إلى تقليد وممارسة العـنف بما تثيره من توليد للرغبة فى ممارسـة السلوك العنيف، هذه الرغبة نفسـها هى التى تدفعهم باسـتمرار لمـشاهدة ألوان لا تحـصى من البرامج والمـشاهدات العنيـفة، والجـدير بالذكر أن هذا يحـدث للطفل الذى توجد لديه واقعـية مسـبقة لممـارسة العدوان، ويرى الباحثون أن الأطفـال لا يجب أن يتعرضوا لأفلام العنف والعدوان التى تعرض الجرائم والقتل لأنها تؤثر على سلوكهم وتزيد من القيم السلبية لديهم(٤٢).

١٠ـ وقد خلصت الدراسات المتعلقة بالمرأة إلى أن الأثر العام لصورة المرأة كما تعكسها وسائل الإعلام هو دعم للاتجاهات السالبة نحوها وبالذات فى مجـالات التعليم والعمل والزواج والاخـتـلاط وأنه فى إمكان وسائل الإعلام أن تـعمل على تغـيـيـر الاتجاهات السـالبة وتدعـيم الإيجابـيات وذلك باعـتبـار التـأثير الكـبيـر الذى تحـدثه وسائل الإعـلام فى تغـيـيـر الاتجاهات وتقبل الاتجاهات الجديدة فى المجالات الاجتماعية(٤٣).

خامسًا: تفسير النتائج:

بعد أن ينتهى البـاحثون من وضع تساؤلاتهم وفرضيـات بحوثهم، وبعد أن يجمعـوا معلوماتهم من مـصادرها المحدودة يصلون إلى أهم مـراحل البحث وثمرته عـلى الإطلاق، وهى مرحلة تحليل تلك المـعلومات وفـرض نتائجـها المستخلصة منها، وهذه العملية تتطلب من الباحثين خبرة خاصة وعناية فائقة، فمن الممكن لغير ذوى الخـبرة بالعملية البحثية أن يخرجـوا بنتائج وتفسيرات مغايرة للحـقيقة، حيث يمكن أن تـكون هناك متغيرات مـتداخلة أو زائفة، وإذا لم يفهمهـا الباحث ويعيها جيداً قد تؤثر فى تفـسيراته وبالتالى يؤدى ذلك إلى فرض زائف ونظريات غير صحيحة وتفسيرات خاطئة للظواهر.

وقد اتضح من الدراسـة أن هناك تصوراً خـاطئًا لدى كثير من الباحـثين أنه بمجرد الانتهـاء من جمع مادتهم العلمية والانتهاء من نتـائج دراساتهم الكمية

يعتبرون ذلك إضافة علمية، والواقع أن الإضافة العلمية لا تتحقق إلا بعد تفسير النتائج التى توصل إليها الباحث، ذلك أن الإتيان بمعلومة تُضيف شيئًا جديدًا إلى المعرفة لا تعنى أن الباحث حقق الهدف المطلوب من إجراء بحثه.

كذلك اتضح من الدراسة أن بعض الباحثين يعتقدون أنه بمجرد جمع المعلومات والبيانات عن موضوع معين والخروج بعلاقات تربط بين متغيرات مختلفة ذات درجة معنوية أنه بذلك أجرى بحثًا علميًا، والواقع أن ما قام به ليس بحثًا وإنما هو ربط لمتغيرات ما فحسب، فالعديد من البحوث فى مجال الإعلام والاجتماع وغالبية بحوث علم النفس تنتهى عند الوصول إلى معاملات ارتباط ذات درجة معنوية، وهى لا تعدو إلا أن تكون عرضًا إحصائيًا لمعالجة تلك البيانات عن طريق الحاسب الآلى فى حين يعترض فى الطالب بذل جهده فى التحليل والاستنباط وذلك بعد حصوله على تلك النتائج الإحصائية من خلال ما تثيره تلك الارتباطات من أسئلة مثل ما طبيعة هذه العلاقة؟، ما هو السبب أو الأسباب الرئيسية لحدوثها؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات تؤدى إلى تفسيرات لما تعنيه تلك الارتباطات، الأمر الذى يتطلب نوعًا من الحوار أو الجدل الذى يجعل ذهن الباحث يدخل فى معركة مع الحقائق المتوفرة لديه أملا فى الكشف عن دلالة تلك الوقائع ومغزاها المعبر عن ذلك الارتباط، وهذا هو الفرق بين الباحث والحاسب الآلى.

***

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

على الرغم من تفرع العلوم والمعارف الإنسانية، إلا أن هناك تقارب منهجى فيما بينها، فقد اتضح أن الدراسات الاجتماعية والإعلامية يغلب عليهما التقليد من حيث الاعتماد على منهجى المسح والمنهج الوصفى، فى حين أن الدراسات النفسية يغلب عليها الاعتماد على المنهج التجريبى، وقد يرجع ذلك إلى انتهاج علم النفس الحديث منهج العلوم الطبيعية فى الظواهر النفسية كالقدرات أو السمات أو الاستعدادات أو الأمراض، الأمر الذى يحتم على هذه الدراسة الاستعانة بالمنهج التجريبى وهو ما تتميز به عن الدراسات الإعلامية والاجتماعية.

أما من حيث الأدوات البحثية فقد اتضح أن غالبية الدراسات استعانت بأكثر من أداة بحثية وأن أهم هذه الأدوات تمثلت فى المقابلة، فالملاحظة ثم تحليل المضمون الأمر الذى يسمح فى هذه الدراسات بإلقاء المزيد من الضوء على الظاهرة موضوع الدراسة، كما أن استخدام أكثر من أداة واحدة يؤدى إلى الوثوق فى البيانات التى تم جمعها عن طريق هذا التعدد.

وقد اتضح من الدراسة أن المفاهيم والمصطلحات المستخدمة غير واضحة فى أذهان كثير من الباحثين مما أدى بدوره إلى تداخل المفاهيم واختلاط المعانى، فمفهوم المنهج يختلط فى الأذهان بمفهوم الطريقة والأداة والوسيلة والأسلوب على الرغم من المحاولات العلمية الجادة التى بذلت فى هذا الصدد لصياغة تعريفات محددة، والواقع أن من أبرز عيوب تصنيف مناهج البحث تكمن فى عدم التفرقة الواضحة بين المنهج والأسلوب والوسيلة.

وأما تحديد مجتمع البحث فقد حرصت غالبية الدراسات على تحديد المجتمع الذى تُجرى عليه الدراسة، وقد اعتمدت على أكثر من طريقة من طرق جمع البيانات وكانت العينة من أكثر الطرق استخدامًا.

ومن حيث استعانة الدراسات الاجتماعية والإعلامية والنفسية بأساتذة من

غير التخصص الأساسى الذى ينتمى إليه الباحث فى مجال الإشراف والمناقشة، فقد اتضح أن نصف الدراسات استعانت بإشراف أو مناقشة من خارج التخصص الذى ينتمى إليه الباحث، وإن كانت الاستعانة بالمناقشين أكثر فى مجال الإشراف حيث بلغت نسبة الرسائل فى مجال الاجتماع والإعلام وعلم النفس بمشرفين من خارج التخصص ولهم علاقة بنوع الدراسة (١٤٪) وهى نسبة محدودة تؤثر سلبًا على البحث العلمى لأن تقارب الاهتمامات العلمية للمشرف الأكاديمى على موضوع بحث الطالب يضيف بعداً أساسيًا فى تجاوز الصعوبات العلمية والعملية لأن المشرف فى هذه الحالة سيكون قادراً على توجيه الطالب لقدراته الذهنية وتوظيفها من أجل الإبداع والابتكار.

ومن حيث الوسائل العلمية التى حظيت باهتمام الباحثين فى مجال الإعلام والاجتماع وعلم النفس فقد اتضح أن التلفزيون بصورة منفردة أو مع وسائل أخرى أوسع انتشاراً من وسائل الإعلام الأخرى، لذا احتل الأهمية الأولى من بين الوسائل المسموعة والمرئية، بينما احتلت الأهرام الأهمية الأولى من بين الوسائل المقروءة.

أما عن القضايا التى عالجتها الأطروحات موضوع الدراسة فقد تنوعت وتعددت اهتمامات هذه البحوث مع تعدد وتنوع اهتمامات البيئة والمجتمع، فمنها ما ارتبط بالبيئة التعليمية والثقافية ومنها ما ارتبط بالبيئة الاجتماعية والنفسية ومنها ما ارتبط بالبيئة السياسية، بينما اتجه جانب آخر من الدراسات لبحث الظواهر الاقتصادية وتأثيراتها المختلفة.

ومن النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات من خلال القضايا التى عالجتها ما يلى:

١ـ أن وسائل الإعلام لا تعمل فى معزل عن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة فى المجتمع، وأن مشاهدة البرامج المرتبطة بقضايا التنمية تسهم فى زيادة الاتجاهات الإيجابية ومعدل المعرفة بجميع القضايا التنموية.

٢ـ أن الدراما المقدمة على الرغم من عدم تجانسها وتمثيلها للحضر أكثر من الريف إلا أنها تعمل على تدعيم الإيجابيات أكثر من تدعيم السلبيات، أما الأفلام فقد عمدت مجموعة إلى تشويه صورة المجتمع وإشاعة روح اليأس والقنوط، كما عمدت إلى معالجة أنماط حياتية واجتماعية مشوهة فأبرزت حياة العزوبية وصورتها على أنها انطلاق وحرية وعندما عالجت حياة المتزوجين جعلتها حياة خالية من المسئوليات وصورت بيت الزوجية على أنه أشبه بفندق لا يوجد فيه سكينة واستقرار.

٣ـ أن وسائل الإعلام ساهمت بقسط وافر فى اهتزاز الدور الذى تقوم به المدرسة والأسرة وأضعفت من السلطة التى يمارسها الآباء على أبنائهم حيث أعرب بعض الأحداث من أن ثقتهم فى التلفزيون أكثر من ثقتهم فى الوالدين فى حالة تعارضه مع معلومات الوالدين.

ومن أهم التوصيات التى خلصت إليها الدراسة:

أولا: ضرورة الاستعانة بأكثر من منهج حيث إن الظواهر الاجتماعية والنفسية والإعلامية لا يمكن أن يغطيها منهج واحد، وكل علم له ما يناسبه من المناهج وليس هناك ما يمنع من الجمع بين اثنين أو أكثر من منهج، لأن الفصل بين مختلف المناهج بالنسبة لأى علم من العلوم يكاد يكون مستحيلا، فالباحث له الحق فى أن يختار من هذه المناهج ما يناسب طبيعة العلم الذى يدرسه والمشكلة التى يتناولها، المهم هو التفاعل والتقارب بين المناهج المستخدمة.

ثانيًا: ضرورة فهم المنهج فى شموليته والنظر إليه ليس باعتباره مجرد أدوات إجرائية تساعد على ضبط خطواته فى التعامل مع القضايا التى يدرسونها وتساعدهم على الوصول إلى نتائج معينة، ولكن ينبغى النظر إلى المنهج باعتباره منظومة متكاملة تبدأ بالوعى والرؤيا المشكلين لروح المنهج وكنهه اللامرئى وتنتهى بالعناصر اللازمة لتحقيق تلك الرؤيا وذلك

الوعى من خلال الكشف والفحص والدرس والتحليل والبرهنة.

ثالثًا: ضرورة الوعى بأن المنهج يكمن فى كفاتيه الإجرائية، فالمنهج ما هو إلا أسلوب يتوسل به الباحث لتحقيق الأهداف المحددة والمسطرة سلفًا للبحث المزمع إنجازه، ومن ثم فإن قيمته الحقيقية لا تقاس إلا بما يختزنه من الطاقة الإجرائية، وهو ما لا يمكن تلمسه إلا من خلال التطبيق، وفيما عدا ذلك تبقى كل المناهج صالحة مهما اختلفت منطلقاتها وخلفياتها المرجعية والأيدلوجية ما لم تثبت التجربة عكس ذلك.

رابعًا: ضرورة مراعاة مدى مواءمة المناهج والأدوات المستخدمة للسياق الاجتماعى حيث إن بعض المناهج والأدوات البحثية الوافدة إلينا تعكس مواقف أيدلوجية أو مذهبية معينة تنتمى إلى حضارة أو مجتمعات بعينها، وقد تكون غير ملائمة لأوضاعنا والظروف التى تمر بها مجتمعاتنا.

خامسًا: ضرورة الاستعانة بمشرفين متخصصين فى المجالات التى يرتادها طلاب الدراسات العليا بغض النظر عن انتماءاتهم الجامعية، الأمر الذى يسهم فى توجيه الطالب مباشرة إلى القضايا ذات الصلة بالموضوع ويساعد فى استغلال الطالب لقدراته الذهنية وتوظيفها من أجل الإبداع والابتكار.

وإذا كنا نريد تقدمًا فى بحوثنا الاجتماعية والنفسية والإعلامية تراعى الجوانب المنهجية والضرورية وفى نفس الوقت لا تنسلخ عن تراثنا فإن ذلك لا يمكن ترجمته على أرض الواقع إلا بالقيام بعمليتين متكاملتين هما:

أولاهما: الرجوع إلى تراثنا العلمى وسبر أغواره واكتشافه من جديد لحصر العناصر المعرفية والمنهجية واستحضار ما هو منها حى وملائم لتوظيفه كما هو أو ما هو قابل للتوظيف، وكذا استخلاص ما هوصالح لننطلق

منه أو نستوحي أو نستمد بعض ما يقوى قدراتنا التاريخية ومواكبة التطور المنهجي.

ثانيتهما: التفتح بوعي وعمق وحرية وموضوعية على تراث الغرب في شتى نواحيه ومختلف ميادينه ليس لمجرد اتباعه والبقاء في مؤخرة الركب لاهثين خلفه، ولكن لاكتساب المعلومات التي أهلته للتقدم وامتلاك المفاتيح التي ينبغي سد أي باب في وجهه يريد دخوله وارتياده، فبدون هذا الامتلاك وذلك الاكتساب سوف نظل مجرد مستهلكين لما تبقى من فتات يلفظه الغير. إن إجراء هذه العملية يتطلب وسائل وإمكانات تقوم على مدى إحساسنا بالواقع الذي نعيشه ومدى الرغبة في تغييره والقدرة على هذا التغيير، كما يقوم على معرفتنا بالذات والكيان، وتحديدنا للغايات والأهداف ونظرتنا الموضوعة للآخرين في غير قبول أو رفض مسبقين، ونقوم قبل هذا وبعده على الوعي الصحيح بعملية اكتساب المعلومات والمعارف لفهمها وإدراكها واستيعابها في حقيقتها وعمقها بعيداً عن أي جدل عقيم لا يستند إلى على مجرد التحيز والخصومة.

***

أهم المراجع

١ـ رجع الباحث إلى عدة مراجع من أهمها:

ـ جيهان أحمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٧٨ ص ص ٢٤ إلى ٤١.

ـ سامية محمد جابر: الاتصال الجماهيرى والمجتمع الحديث، النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢، ص ٦.

- Denis mcquil mass,communication theory - An introduction, SAGE pupilcation , Second Eddtion, London 1988. p:5

- Deis mcquil, Mass Communication and the public interest; towards social theory for Mejia structure and performance in: David crowwy, David Mitchell, Communication theory today, polity press, London, 1994, pp: 243-245.

٢ـ رجع الباحث إلى عدة مراجع من أهمها:

ـ محمد محمد البادى: علوم الاتصال الجماهيرى واستقلالها، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثالث سبتمبر ١٩٩٨، ص٢٤٥-٢٦٨.

- حمدى حسن محمود: نظرية الاتصال واستراتيجيات البحث فى الدراسات الإعلامية، ورقة بحث مقدمة إلى الحلقة الدراسية الثانية لمشكلات المنهج فى بحوث الصحافة والإعلام، كلية الإعلام - جامعة القاهرة، ابريل ١٩٩٦.

- سعود بن ضحيان الضحيان، عبد الله احمد الدليمى: المنهجية والرسائل الجامعية العربية، دراسة حالة كلية العلوم الاجتماعية تصدر عن مجلس النشر العلمى - جامعة الكويت مجلد ٢٦ ,١٩٩٨ من ص٨٧ - ١٠٩.

- طه عبد العاطى نجم: إسهام نظريات علم الاجتماع فى دراسة الاتصال الجماهيرى - مجلة البحوث الإعلامية، تصدر عن جامعة الأزهر - القاهرة العدد الرابع عشر اكتوبر ٢٠٠٠ ص ص ١٥٥ - ٢٠٥،

(٣) احمد حسين الصاوى: أدوات تفتقر إليها بحوثنا الإعلامية، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الأولى لمشكلة المنهج فى بحوث الصحافة المنعقدة فى كلية الإعلام - جامعة القاهرة الفترة من ١٩ - ٢١ ابريل ١٩٨٦.

(٤) السيد أحمد مصطفى عمر: منهجية الفروض فى بحوث الإعلام، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد التاسع عشر ٢٠٠١م ص ص ٢١٣٣ - ٢١٨٠.

(٥) طه عبد العاطى نجم: إسهام نظريات علم الاجتماع المعاصر فى دراسة الاتصال الجماهيرى، مجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، العدد الرابع عشر، اكتوبر ٢٠٠٠م ص ص ١١٥ - ٢٠٩.

(٦) سعود بن ضحيان الضحيان وعبد الله احمد الدليمى: المنهجية والرسائل الجامعية العربية. دراسة حالة، مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت المجلد ٢٦، العدد٤، ١٩٨٤ ص ص ٨٧ - ١٠٩.

(٧) حمدى حسن محمود: تطور نظرية الاتصال واستراتيجيات البحث فى الدراسات الإعلامية، والمجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام جامعة القاهرة العدد الأول، ١٩٩٧، ص ص ١٥٣ - ١٧٤.

(٨) جابر محمد عبد الموجود: الجوانب الإجرائية والمنهجية لبحوث الصحافة والإعلام دراسة تحليلية وتقويمية لخطط ورسائل الماجستير والدكتوراه بقسم الصحافة والإعلام، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية العدد الخامس عشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ص ص ٤٧٣ - ٥٤٨.

(٩) محمد سعد إبراهيم: إشكالية المنهج لدى الباحثين الإعلاميين الشبان، بحث مقدم إلى الحلقة الثانية، مشكلات المنهج فى بحوث الصحافة والإعلام، وكلية الإعلام جامعة القاهرة، فى الفترة من ١٣ - ١٦ مايو ١٩٩٦.

(١٠) أحمد خليفة وأخرون: إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٨٤.

(١١) عبد العال بو طيب: إشكالية المنهج فى الخطاب النقدى العربى الحديث، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب، المجلد ٢٣العدد الأول والثانى، ١٩٩٤، ص ص ٤٥٥ - ٤٦٦.

(١٢) المصدر سورة المائدة أية ٤٨.

(١٣) عبد العال بو طيب - مرجع سابق، ص ص ٤٥٥ - ٤٦٦.

(١٤) المعجم الوجيز، مادة نهج، ١٩٩٦، ص ٦٣٦.

(١٥) عبد الرحمن بدوى: مناهج البحث العلمى، دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣.

(١٦) نجيب اسكندر: المنهج العلمى فى العلوم الاجتماعية، إشكالية العلوم الاجتماعية، فى الوطن العربى ط١ دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٤ ص ص ٨٣ - ٩٣.

(١٧) عباس الجرارى: خطاب المنهج، طباعة منشورات السفير، مكناس، المغرب، ١٩٩٠ ص١٠٧،

(١٨) صلاح قنصوه: وحدة المنهج وتعدد المنحى فى العلوم الاجتماعية مرجع سابق، ص ص ٩٣ - ١٠٨،

انظر على سبيل المثال:

- السيد نفادى: اتجاهات جديدة فى فلسفة العلم، عالم الفكر، مرجع سابق، المجلد الخامس والعشرون العدد الثانى اكتوبر/ ديسمبر ١٩٩٦ ص ص ٨٩ - ١١٤،

- السيد الحسينى: الاتجاهات الفينومينولوجية الحديثة فى العلوم الاجتماعية، عالم الفكر، مرجع سابق ص ص ٧٥ - ٨٨.

- عبد الوهاب بو حديبة: تطوير مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية، عالم الفكر، العدد الأول ابريل ويونيو ١٩٨٣ من ص ١٣ - ٢٨.

(٢٠) محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى: طرق البحث الاجتماعى ط٢، دار الشروق - القاهرة ١٩٨٨ ص ص ١٦٠ - ١٦١،

(٢١) نفس المصدر ص ١٦٧.

(٢٢) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعى ط ١٢، مكتب وهبة القاهرة ١٩٩٨ ص ٢٦٩.

(٢٣) مصطفى عمر: إشكالية المنهج فى الانثربولوجيا، فى قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٦ص ١١٣.

(٢٤) محمد عبد العزيز الخيزران: البحوث الإعلامية، أسسها، أساليبها، مجالاتها ط١، مطبعة السفير - الرياض، ١٤٩٩ هـ١٩٩٨ص١٠٤.

(٢٥) أسامة الخولى وآخرون: ندوة العلوم الطبيعية والإنسانية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت ربيع ١٩٨٩ ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢٦) حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعى، بدون ناشر ١٩٧٢ ص ١٤٨.

(٢٧) حسن الساعاتى: إشكالية المنهج فى العلوم الاجتماعية فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى - مرجع سابق ص ص ٤٥ - ٥٩.

(٢٨) حسن شحاته سعفان: أسس علم الاجتماع الانسانى ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٤، ص٢٥.

(٢٩) حسن الساعاتى: مرجع سابق ص ص ٤٥ - ٥٩

(٣٠) غريب سيد أحمد: البحث الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦ ص ١١٩

(٣١) محمد محمد البادى: مرجع سابق ص ص ٢٤٥ - ١٦٨.

(٣٢) ناجى بدر: المنهج الرياض فى العلوم الاجتماعية فى قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ص ٧٧ - ١ -٣.

(٣٣) رجع الباحث إلى عدة مراجع من أهمها:-

فاروق أبو زيد: إشكالية المنهج فى الدراسات الصحفية، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الأولى لمشكلة المنهج فى بحوث الصحافة المنعقدة فى كلية الإعلام - جامعة القاهرة فى الفترة من ١٩ - ٢١ ابريل ١٩٨٦.

- عبد العال بو طيب: مرجع سابق ص ص ٤٥٥ - ٤٦٦.
- محمد سعد: إشكالية المنهج لدى الباحثين الإعلاميين الشبان، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الثانية لإشكالية المنهج فى بحوث الصحافة والإعلام المنعقدة فى كلية الإعلام جامعة القاهرة فى الفترة من ١٣ - ١٦ مايو ١٩٩٦.
- جلال أمين: بعض مظاهر التبعية الفكرية فى الدراسات الاجتماعية فى العالم الثالث فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، أبحاث الندوة السنوية للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية التى عقدت خلال الفترة من ٢٦ - ٢٨ فبراير ١٩٨٣ القاهرة - دار التنوير ١٩٨٤ ص ١٨٣.
- سيد عويس: علم الاجتماع فى المجتمعات النامية بين التبعية والاستقلال فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، مرجع سابق، ص ٢٢٦.
- عاذل حسين: النظريات الاجتماعية العربية قاصرة ومعادية، فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، مرجع سابق، ص ٢٥٦.
- عواطف عبد الرحمن: الإعلام وتحديات العصر، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث والعشرون العددان الأول والثانى يوليو - سبتمبر - اكتوبر - ديسمبر.
- مصطفى حلمى: مناهج البحث فى العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٠.

(٣٤) محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى، مرجع سابق، ص ص ١٢٥ وما بعدها.

(٣٥) طه عبد العاطى مصطفى نجم: الصحافة المصرية وتشكيل الوعى الاجتماعى، ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة الإسكندية، ١٩٨٩.

(٣٦) محمود عباس على عودة: أنماط الاتصال والتغير الاجتماعى، دراسة ميدانية، دكتوراه، كلية الأداب، جامعة عين شمس ١٩٦٩.

(٣٧) سلوى محمد يحيى: دور الاتصال فى التنشئة السياسية والاجتماعية دراسة ميدانية مقارنة على قريتين مصريتين، ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٩٠.

(٣٨) على سيد محمد رضا: ترشيد الدراما الإذاعية فى مصر كأداة للتنمية الحضارية دراسة تحليلية لقصة من المسلسلات الإذاعية دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٣م.

(٣٩) راجع فى هذا الشان:

- محمد خصر: علاقة مشاهدة النماذج العدوانية بالتليفزيون بالعنف لدى الشباب الجامعى، دراسة ميدانية، ماجستير غير منشورة كلية الأداب جامعة عين شمس ١٩٩٢م.
- زكى عبد المجيد إبراهيم: القيم الاجتماعية للانفتاح الاقتصادى فى مصر كما تعكسها نماذج من الإنتاج الفنى السينمائى ماجستير كلية الأداب جامعة عين شمس ١٩٨٨م.

(٤٠) جمال صالح متولى الزناتى: وسائل الاتصال الجماهيرى والتنمية السياسية، تحليل سوسيولوجى لدور الصحافة فى التنمية السياسية ماجستير كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٩٠م.

(٤١) محمد عباس نور الدين: السينما والتليفزيون وتفاوت علاقاتهما ببعض صور السلوك الجانح، دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٩٠م.

(٤٢) نادية عبد الفتاح مصطفى: أثر مشاهدة العنف التمثيلى على تنمية النزعة العدوانية لدى الأطفال ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٩٢م.

(٤٣) تحسين على حسين: دور وسائل الإعلام فى تغيير الاتجاهات النفسية والاجتماعية نحو المرأة العراقية، دراسة تجريبية لدى شرائح مختلفة من الشباب العراقى، دكتوراه غير منشورة كلية البنات للعلوم والآداب والتربية، جامعة عين شمس ١٩٨٧م.

***

ملاحق الدراسة

جدول رقم ١

يوضح مدى تحديد الاعتماد على مناهج بحثية من عدمه

نوع الدراسة / مدى التحديد	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
حددت منهجًا واحدًا	٨	٣٤,٨	٩	٥٢,٩	٥	٥٠٪	٢٢	٤٤
حددت أكثر من منهج	١٠	٤٣,٥	٥	٢٩,٤	-	-	١٥	٣٠
لم تحدد	٥	٢١,٧	٣	١٧,٧	٥	٥٠٪	١٣	٢٦
الإجمالي	٢٣	١٠٠	١٧	١٠٪	١٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

جدول رقم ٢

يوضح أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الاجتماعية والنفسية والإعلامية

نوع الدراسة / اهم المناهج	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
منهج المسح	١٤	٣٥,٩	٣	١٦,٧	-	-	١٧	٢٧,٤
المنهج الوصفي	٨	٢١,٥	٧	٣٨,٩	-	-	١٥	٢٤,٢
المنهج المقارن	٧	١٧,٩	١	٥,٥	-	-	٨	١٢,٩
المنهج التاريخي	٣	٧,٧	٤	٢٢,٢	-	-	٧	١١,٣
المنهج التجريبي	٢	٥,١	٢	١١,١	٣	٥٠	٧	١١,٣
تحليل المضمون	٢	٥,١	-	-	١	١٦,٧	٣	٤,٨
المنهج الإحصائى	٢	٥,١	-	-	١	١٦,٧	٣	٤,٨
دراسة الحالة	١	٢,٦	١	٥,٥	١	١٦,٧	٣	٤,٨
الإجمالي	٣٩	١٠	١٨	١٠٠	٦	١٠٠	٦٢	١٠٠

جدول رقم (٣)

يوضح مدى الاستعانة بأدوات جمع البيانات

نوع الدراسة / مدى الاستعانة	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
بحوث استعانت بأكثر من أداة	١١	٧,٨٤	١٤	٨٢,٣	٥	٥٠	٣٠	٦٠
بحوث استعانت بأداة واحدة	١١	٤٧,٨	٣	١٧,٧	٥	٥٠	١٩	٣٨
بحوث لم توضح	١	٤,٣	-	-	-	-	١	٢
الإجمالي	٢٣	١٠٠	١٧	١٠٠	١٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

جدول رقم (٤)

يوضح أهم الأدوات البحثية المستخدمة في الدراسات الاجتماعية والنفسية

نوع الدراسة / الأداة	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
المقابلة	١٥	٤٤,١	١٢	٣٧,٥	٣	٢٧,٣	٣٠	٣٩,٥
الاستبيان	٨	٢٣,٥	٣	٩,٤	١	٩,١	١٢	١٥,٨
الملاحظة	٦	١٧,٦	٩	٢٨,١	٢	١٨,٢	١٧	٢٢,٤
تحليل المضمون	٥	١٤,٧	٦	١٨,٨	١	٩,١	١١	١٤,٥
دراسة الحالة	-	-	٢	٦,٢	١	٩,١	٣	٣,٩
أدوات أخرى	-	-	-	-	٣	٢٧,٣	٣	٣,٩
الإجمالي	٣٤	١٠٠	٣٢	١٠٠	١١	١٠٠	٧٦	١٠٠

جدول رقم (٥)

يوضح أسلوب تحديد مجتمع البحث في بحوث الإعلام والاجتماع وعلم النفس

نوع الدراسة / الأسلوب	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
بحوث حددت أكثر من أسلوب	٣	١٣	٤	٢٣,٥	-	-	٧	١٤
أسلوب واحد	١٨	٧٨,٣	١١	٦٤,٧	١٠	١٠٠	-	٧٨
لم تحدد	٢	٨,٧	٢	١١,٨	-	-	٤	٨
الإجمالي	٢٣	١٠٠	١٧	١٠٠	١٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

جدول رقم (٦)

يوضح أهم طرق جمع البيانات في الإعلام والاجتماع وعلم النفس

نوع الدراسة / الأسلوب	الإعلام		الاجتماع		علم النفس		الإجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
مسح شامل	٢	٧,٨	٥	٢٩,٤	٢	٢٠	٩	١٨
عينة	٢١	٩١,٣	١٢	٧٠,٦	٨	٨٠	٤١	١٢
الإجمالي	٢٣	١٠٠	١٧	١٠٠	١٠	١٠٠	٥٠	١٠٠